كويت جديدة
NEWKUWAIT

وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

الصف الخامس
الجزء السادس والعشرون
التعليم الديني

الطبعة الأولى

تفسير القرآن الكريم

الصف الخامس
الجزء السادس والعشرون
التعليم الديني

تأليف
أ. خالد عبدالله البصيلي (رئيساً)

أ. عبدالله حامد المطيري
أ. لمياء خالد الرندي
أ. د. ياسر محمد عبداللطيف
أ. شيماء يوسف عبدالكريم الكندري

الطبعة الأولى
١٤٤٠ - ١٤٤١ هـ
٢٠١٩ - ٢٠٢٠م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج
إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى: ٢٠١٤ - ٢٠١٥م
٢٠١٩ - ٢٠٢٠م

الكتاب كاملًا

شاركنا بتقييم مناهجنا

طبع في شركة مجموعة فورفيلمز للطباعة ذ.م.م

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم (١٠٦) بتاريخ ٢٠١٤/٧/٩

بسم الله الرحمن الرحيم
قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

ولي عهد دولة الكويت

المحتوى

الفترة	الدرس	الموضوعات	الآيات	الصفحة
		المقدمة		١٣
		التعريف بعلم التفسير وأهميته لطلاب العلم		١٥
		سورة الأحقاف بين يدي سورة الأحقاف		١٧
الأولى	الأول	إفراد الله تعالى بالوحدانية	١-٥	١٨
	الثاني	مفتريات الكفار على القرآن العظيم	٦-٨	٢١
	الثالث	القرآن الكريم كلام الله تعالى	٩-١٤	٢٤
	الرابع	الإحسان إلى الوالدين	١٥-١٨	٢٨
	الخامس	عدل الله تعالى بين خلقه	١٩-٢٠	٣١
	السادس	قصة هود -عليه السلام-	٢١-٢٥	٣٤
	السابع	تحذير قريش من عاقبة الكفر	٢٦-٢٨	٣٧
	الثامن	الدعوة الإسلامية عامة للإنس والجن	٢٩-٣٢	٤٠
	التاسع	الصبر طريق النجاة	٣٣-٣٥	٤٣
		سورة محمد بين يدي سورة محمد		٤٦
	العاشر	الحياة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان	١-٦	٤٧
	الحادي عشر	الجزاء من جنس العمل	٧-١١	٥١

الفترة	الدرس	الموضوعات	الآيات	الصفحة
الثانية	الثاني عشر	جزاء المؤمنين وعاقبة الكافرين	١٢-١٥	٥٤
	الثالث عشر	حال المنافقين وخطرهم على الأمة	١٦-١٩	٥٧
	الرابع عشر	تدبر القرآن الكريم	٢٠-٢٤	٦٠
	الخامس عشر	فضيحة المنافقين	٢٥-٢٩	٦٣
	السادس عشر	الابتلاء من سنن الله في الكون	٣٠-٣٢	٦٦
	السابع عشر	أثر الجهاد في حياة الأمة	٣٣-٣٨	٦٩
		سورة الفتح بين يدي سورة الفتح		٧٢
	الثامن عشر	فتح مكة الأعظم	١-٤	٧٣
	التاسع عشر	فوز المؤمنين وعذاب الكافرين	٥-٧	٧٦
	العشرون	الرسول -ﷺ- سبب الهداية	٨-٩	٧٩
	الحادي والعشرون	فضل الصحابة -رضي الله عنهم-	١٠-١٣	٨٢
	الثاني والعشرون	طلب المتخلفين الغنائم	١٤-١٥	٨٥
	الثالث والعشرون	يسر الشريعة الإسلامية	١٦-١٧	٨٨

الفترة	الدرس	الموضوعات	الآيات	الصفحة
الثالثة	الرابع والعشرون	بيعة الرضوان	١٨-٢٣	٩١
	الخامس والعشرون	صلح الحديبية	٢٤-٢٦	٩٤
	السادس والعشرون	رؤيا دخول البيت الحرام	٢٧-٢٨	٩٧
	السابع والعشرون	صفة الصحابة -رضي الله عنهم- في الكتب السماوية	٢٩	١٠٠
		سورة الحجرات بين يدي سورة الحجرات		١٠٣
	الثامن والعشرون	أدب التعامل مع الرسول -ﷺ-	١-٥	١٠٤
	التاسع والعشرون	التثبت من الأخبار	٦-٨	١٠٧
	الثلاثون	الإصلاح بين المتخاصمين	٩-١٠	١٠٩
	الحادي والثلاثون	آداب المسلم	١١-١٣	١١٢
	الثاني والثلاثون	حقيقية الإيمان	١٤-١٨	١١٥

الفترة	الدرس	الموضوعات	الآيات	الصفحة
الرابعة		سورة (ق) بين يدي سورة (ق)		١١٨
	الثالث والثلاثون	آيات الله في الكون	١-١	١١٩
	الرابع والثلاثون	جزاء المكذبين للرسل	١٢-١٩	١٢٢
	الخامس والثلاثون	من مشاهد يوم القيامة	٢٠-٣٥	١٢٥
	السادس والثلاثون	دروس وعبر من أخبار الأمم السابقة	٣٦-٤٥	١٢٩
		سورة الذاريات بين يدي سورة الذاريات		١٣٢
	السابع والثلاثون	الساعة حق لا ريب فيها	١-٦	١٣٣
	الثامن والثلاثون	تكذيب الكفار بيوم القيامة	٧-١٤	١٣٦
	التاسع والثلاثون	صفات المتقين	١٥-٢٣	١٣٩
	الأربعون	كرم إبراهيم -عليه السلام-	٢٤-٣٠	١٤٣
المراجع				١٤٥

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ القائلِ في كتابِهِ العزيزِ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[1] والصلاةَ والسلامُ على مَنْ أرسلَهُ ربُّه رحمةً للعالمين، سيدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ الطَّيبين الطاهرين، ومَنْ سَلَك نهجَهمْ، واتَّبعَ هَدْيَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وبعدُ:

فهذا كتابُ التفسيرِ لمتعلمي الصفِّ الخامسِ للمعاهدِ الدينيةِ، فيهِ عَرْضٌ موجزٌ، وشَرحٌ مُبَسطٌ للجزءِ الخامسِ والعشرينِ منْ كتابِ اللهِ تعالى، وقدْ حرصتِ اللجنةُ المعنيةُ بإعدادِ هذا الكتابِ على ما يلي:

١ – تقديمُ نبذةٍ مختصرةٍ للتعريفِ بكلِّ سورةٍ من سورِ المقررِ، وهي سُوَرُ الأحقافِ ومحمدٍ والفتحِ والحجراتِ و(ق) والذارياتِ، وبيانُ ما تشتملُ عليه كلُّ سورةٍ من مقاصدَ.

٢ – تقسيمُ كلِّ سورةٍ من المقررِ إلى مجموعةٍ من الآياتِ، تشكلُ مع بعضِها موضوعاً واحداً، حتى يتسنَّى للمتعلمين، استيعابَ المقصودِ، وفهمَ المرادِ من الدرسِ.

٣ – شرحُ الكلماتِ المبهمةِ، وتوضيحُها بأسلوبٍ ميسرٍ يناسبُ فهمَ المتعلمين، بعيداً عن التكلفِ والغموضَ.

٤– عرضٌ لأسبابِ نزولِ الآياتِ في صورةٍ مبسطةٍ، إسهاماً في تعميقِ الفهمِ لدى المتعلم.

٥ – الاستدلالُ بالآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ التي تدعمُ الشرحَ، وتثبِّتُ المعلومةَ في ذهنِ المتعلمين، بالإضافةِ إلى أقوالٍ مختارةٍ من سيرةِ السلفِ الصالحِ.

٦ – التركيزُ على الجانبِ الوجدانيِّ مِنْ خلالِ إبرازِ القيمِ، وإلقاءِ الضوءِ عليها، مَعَ التنبيهِ على أهمِّ الفوائدِ التي تَرِدُ من خلالِ شرحِ الآياتِ.

(١) سورة ص: ٢٩.

٧ – العنايةُ بالحقائقِ الثابتةِ، وتقريرُ الأمورِ المعلومةِ من الدينِ، منَ البعثِ والنشورِ ويومِ القيامةِ وما فيهِ من ثوابٍ وعقابٍ، وعرضٌ لبعضِ الأحكامِ الشرعيةِ التي تَهُمُّ المسلمَ وبيانُ أهميةِ الآدابِ الإسلاميةِ التي تسمو بالمجتمعِ.

واللجنةُ المعنيةُ إذ تقدمُ هذا العملَ ترجو التوفيقَ والسدادَ للمتعلمين، وترحِّبُ بالنقدِ البناءِ، أملاً في تداركِ الخطأ في الطبعاتِ اللاحقةِ، كما ترجو أنْ يكونَ هذا العملُ خالصاً لوجههِ الكريمِ، وأن ينتفعَ به القارئُ الكريمُ، وصلّى اللهُ وسلّم على رسولِهِ الكريمِ.

المؤلفون

التعريف بعلم التفسير
وأهميته لطلاب العلم

يُعدُّ علمُ التفسيرِ من أهمّ العلومِ وأشرفِها لأنّهُ يتعلقُ بكتابِ اللهِ -تعالى- فمن خلالِ ذلك العلمِ يَعْرِفُ طلابُ العلمِ مقاصدَ القرآنِ العظيمِ، وتظهرُ لهم أحكامُه، وتنكشفُ بينَ أيديهمْ أهدافُهُ.

تعريفَ التفسيرِ في اللغةِ:

التفسيرُ في اللغةِ: يُرادُ به البيانُ والكشفُ، يقالُ فلانٌ فسَّر الشيءَ أَيْ أبانَه ووضَّحَه.

والتفسيرُ في الاصطلاحِ: علمٌ يُفهمُ به كتابُ اللهِ -تعالى- المنزلُ على نبيهِ محمدٍ -ﷺ- وبيانُ معانيهِ واستخراجُ أحكامِه.

موضوعُ علمِ التفسيرِ: كلامُ الله - تعالى - المدوّنُ بينَ دفتي المصحفِ الشريفِ.

فوائدُ علمِ التفسيرِ:

القرآنُ الكريمُ دستورُ الأمةِ الخالدِ، وكتابُها المجيدُ، ومنهاجُها في هذه الحياةِ قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[1]

ولذلكَ فقد كانَ من الضروريّ أنْ يتعرفَ المسلمونَ على معاني آياتِ اللهِ - تعالى - ليستبينَ لهمُ الحقُّ من الباطلِ، ويعرفونَ الحلالَ من الحرامِ. ويدركونَ الحسنَ من القبيحِ، ويميزونَ الطيبَ من الخبيثِ، وهذا ما طبّقهُ الصحابةَ - رضوانُ اللهِ عليهم - فعَنْ ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قالَ: كانَ الرجلُ منا إذا تعلمَ عشرَ آياتٍ لم يجاوزْهنّ حتى يعرفَ معانيهنَّ والعملَ بهن، وهذا ما عناهُ القرآنُ الكريمُ في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[2]

(١) سورة النحل: ٨٩.
(٢) سورة ص: ٢٩.

نشأةُ علمِ التفسيرِ:

أنزلَ اللهُ -تعالى- القرآنَ الكريمَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، قرأه الرسولُ -ﷺ- على أصحابِه، وعلّمَهم إياهُ، وكانوا إذا عجزوا عن فهمِ شيءٍ منه سألوا عنه الرسولَ -ﷺ- فبيّنَه لهم، وكانوا -رضي الله عنهم- أدرى من غيرِهم بمعرفةِ كتابِ اللهِ -تعالى- ومن أشهرِ المفسرينَ من الصحابةِ: الخلفاءُ الأربعةُ أبوبكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ، وابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبيُّ بن كعب، وزيدُ بن ثابتٍ، وأبوموسى الأشعريُّ، وعبدُالله بنُ الزبيرِ، وكانَ بعضُهم أعلمَ من بعضٍ بكتابِ الله -تعالى- فهذا عليٌّ -رضي الله عنه- يقولُ: (سلوني عن كتابِ الله فو اللهِ ما نزلتْ آية من كتابِ الله إلا وأنا أعلمُ أينَ نزلتْ ومتى نزلتْ وفيما نزلتْ بليلٍ نزلت أم بنهارٍ، نزلت بسفرٍ أم بحضرٍ) والمفسرونَ من التابعين: مجاهدٌ والضحاكُ وعكرمةُ والحسنُ البصري، وسعيدُ بن جبير وسعيدُ بن المسيّب رحمهم الله تعالى.

أشهرُ كتبِ التفسيرِ: **جامعُ البيانِ** لمحمدِ بن جريرٍ الطبريّ، **والجامعُ لأحكامِ القرآنِ الكريمِ** للقرطبيّ، **والدُّر المنثورُ في التأويلِ بالمأثورِ** لجلالِ الدين السيوطيّ، **وتفسيرُ القرآنِ العظيمِ** لابن كثيرٍ الدمشقيّ، **وبدائعُ التفسيرِ** لابنِ القيمِ، **والتحريرُ والتنويرُ** لمحمدٍ الطاهرِ بن عاشور، **وأيسرُ التفاسيرِ** لأبي بكر الجزائريّ.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنهم صالحَ الأعمال

والله ولي التوفيق

بين يَدَيْ سورةِ الأحقاف

التعريفُ بالسورةِ الكريمةِ:

هذه السورةُ الكريمةُ رقمُها في المصحفِ ٤٦، وعددُ آياتِها ٣٥ونزلتْ بعد سورةِ الجاثيةِ وهي مكيةٌ، ومحورُ السورةِ الكريمةِ يدورُ حولَ «الرسالة والرسول» لإثباتِ صحةِ رسالةِ محمدٍ -ﷺ- وصدقِ القرآنِ الكريم.

سُميِّتْ سورةُ الأحقافِ بهذا الاسم نسبةً إلى الأحقافِ من أرضِ اليمنِ وهي مساكنُ عادٍ الذين أهلكَهُم اللهُ بسببِ طغيانِهم، وأَهمُّ محاورِ السورةِ:

١- تحدثتْ السورةُ في البدءِ عن القرآنِ العظيمِ المنزّلِ من عندِ الله تعالى بالحقِّ، ثمَّ تناولتْ الأوثانَ التي عبدَها المشركونَ فبيّنتْ ضلالَهم وخطأَهم.

٢- تحدثتْ السورةُ عن شبهةِ المشركينَ حولَ القرآنِ الكريمِ، فردَّتْ عليها بالحجةِ والبرهانِ.

٣- تناولتْ السورةُ نموذَجيْنِ من نماذجِ البشريةِ في هدايتِها وضلالِها، فذكرتْ نموذجَ الولدِ الصالحِ البارِّ بوالدَيْه الذي كلما زادتْ سِنُّه وتقدّمَ في العمرِ ازدادَ تقىً وصلاحاً، ونموذجَ الولدِ الشقيِّ العاقّ لوالدَيْه، الذي يهزأُ ويسخرُ منَ الإيمانِ والبعثِ والنشورِ، وبينت مصيرَ كلٍّ منهما.

٤- تحدثتْ السورةُ عن قصةِ هود -عليه السلام- مع قومِه عادٍ الذين طَغَوا في البلادِ، واغترّوا بما كانوا عليه من القوةِ، وما كان من هلاكِهم بالريحِ العقيم، تحذيراً لكفارِ قريشٍ في استكبارِهم على أوامرِ اللهِ عزَّ وجلّ وتكذيبِهم للرسولِ -ﷺ-.

٥- ثم تحدثتْ السورةُ عن نَفَرٍ من الجنِّ استمعوا إلى القرآنِ وآمنُوا بهِ ثمَّ رجعُوا إلى قومِهم يدعونَهمْ إلى الإيمانِ.

٦- وخُتِمتْ السورةُ بتوجيهِ الرسولِ -ﷺ- إلى الصبرِ وعدمِ الاستعجالِ.

الدرس الأول
إفراد الله تعالى بالوحدانية
الآيات (١-٥) من سورة الأحقاف

قالَ تَعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى	زمنٍ معينٍ وهو يومُ القيامة
تَدْعُونَ	تعبدونَ
أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ	بقيةٍ من علمٍ

المعنى الإجمالي:

الاعجازُ القرآنيّ:

﴿حمٓ﴾[1] من الأحرفِ المقطعةِ في أوائلِ السورِ، اللهُ أعلمُ بمرادِهِ منها والافتتاحُ بالحروفِ المقطعةِ له فائدتَيْنِ عظيمتينِ هما:

(١) السور التي بدأت بـ(حم) سبع سور متتالية، وهي غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.

١ - لفتُ انتباهِ السامعِ، وذلكَ لأنَّ المشركينَ كانوا يُعْرِضونَ عن الاستماعِ لآياتِ القرآنِ الكريمِ.

٢ - التحدّي والإعجازُ، فقد تحدّى اللهُ عزَّ وجلّ المشركينَ أنْ يأتوا بمثلِ هذا الكتابِ العظيمِ المكونِ من مثلِ هذهِ الحروفِ المقطعةِ.

فائدةٌ: كلُّ سورةٍ افْتتحتْ بالحروفِ المقطعةِ فلابدَّ أن يذكرَ فيها الانتصارُ للقرآنِ الكريمِ وبيانُ إعجازِه.

ثم يبّينُ اللهَ تعالى أنَّ القرآنَ الكريمَ منزلٌ من عندِه سبحانَه، وأنَّ اللهَ هو العزيزُ الغالبُ القاهرُ في ملكهِ الحكيمُ في شرعِه وتدبيرِه.

واللهُ تعالى خَلَق هذا الكونَ العجيبَ على نواميسَ ثابتةٍ وحكمةٍ بالغةٍ إلى وقتٍ معينٍ وهو يومُ القيامةِ، قالَ تَعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] وهو يومٌ آتٍ لاريبَ فيه ورَغمَ وضوحِ قدرةِ الله في الكونِ إلا أنَّ للكفارِ منهجاً عجيباً وتعاملاً غريباً مع القرآنِ الكريمِ ومعَ الرسولِ -ﷺ-، فهمْ غيرُ مبالينَ ولا مكترثينَ لإنذاراتِه ولا إلى تحذيراتِه من البعثِ بعدَ الموتِ للحسابِ والجزاءِ. يقولُ الشاعر:

فيا عجباً كيف يُعْصى الإلهُ ... أم كيفَ يجحدُه الجاحدُ

وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ ... تَدلُّ على أنَّه الواحدُ

والحكمةُ من الخلقِ إفرادُ اللهِ بالعبوديةِ وحدَه، قالَ تَعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[2]، وقد قررَ النبيُّ -ﷺ- هذهِ الحقيقةَ فقال: «حقُّ اللهِ على العبادِ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»[3].

(١) سورة إبراهيم: ٤٨.
(٢) سورة الذاريات: ٥٦.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

أهمية التوحيد:

والتوحيدُ هو إفرادُ اللهِ تعالى بالعبادةِ، وهو أولُّ واجبٍ على الإنسانِ في هذه الحياةِ، وقد كانَ التوحيدُ دعوةَ كلِّ رسولٍ إلى قومِه، قالَ تَعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1] ولذلكَ كانَ أولُّ ما أوصى به النبيُّ -ﷺ- معاذَ بنَ جبلٍ عندما أرسلهُ إلى اليمنِ، أن يأمرَهم بعبادةِ اللهِ وحدَه ولا يشركوا به شيئاً.

كما أنَّه طريقُ الأمانِ وطوقُ النجاةِ، قالَ تَعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[2].

مخاطبة العقول:

ثم يأمر الله تعالى نبيَّه بأنْ يخاطبَ المشركينَ قائلاً لهم: أخبروني عن هذهِ الأصنامِ التي تعبدونَها؟ هل خلقوا شيئاً من أجزاءِ الأرضَ أم كانوا شركاءَ للهِ في خلقِ السماواتِ؟ إنْ ادَّعيتمْ أنهم خلقوا أو شاركوا فَأْتوا بدليلٍ من الكتبِ السماويةِ السابقةِ أو أثرٍ من علمِ الأولينَ يؤيدُ كلامَكم، والأمرُ في ﴿أَرُونِي﴾ و﴿ائْتُونِي﴾ للسخريةِ والتعجيزِ.

والمشركونَ حقيقةً هم أضلُّ الناسِ وأبعدُهم عن الصوابِ لأنّهم عبدوا آلهةً جامدةً لا تنفعُ ولا تضرُّ.

من هداية الآيات:

١ - القرآنُ الكريمُ كلامُ الله تعالى.

٢ - الحكمةُ من خلقِ السماواتِ والأرضِ والمخلوقاتِ، هي عبادةُ اللهِ وحدَه.

٣ - الكفارُ منكرونَ ليومِ البعثِ والحسابِ والجزاءِ.

٤ - الأصنامُ التي يعبدُها المشركونَ جماداتٌ لا تنفعُ ولا تضرُّ.

---

(١) سورة هود: ٥٠.

(٢) سورة الأنعام: ٨٢.

الدرس الثاني
مفتريات الكفار على القرآن العظيم
الآيات (٦ – ٨) من سورة الأحقاف

قالَ تَعالى: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٨﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
حُشِرَ	جُمع
تُتْلَىٰ	تُقْرأ بتمهلٍ وترتيلٍ
ٱفْتَرَىٰهُ	ألَّفه وقاله كذباً
بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ	بما تخوضون فيه

المعنى الإجمالي:

المشركون يتبرؤون من آلهتهم:

تبيّن الآياتُ مشهداً من مشاهدِ يومِ القيامةِ، إنه يومُ الحشرِ للخلائقِ، وانكشافِ الحقائقِ وإظهارِ مابين المشركين ومعبوداتِهم من ضعفِ الروابطِ، إذ يتبرأُ بعضُهم من بعضٍ، قالَ

تَعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾[1]، قالَ تَعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾[2].

افتراءاتُ المشركينَ على القرآنِ الكريمِ

ثم توضحُ الآياتُ افتراءاتِ الكفارِ على القرآنِ الكريمِ وتبينُ صوراً منها، فعندما تُقْرأُ عليهم آياتُه الواضحةُ الدالةُ على وحدانيةِ اللهِ تعالى وقدرتِه ويستمعونَ إليها فإنهم يقولون ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أي هذا الذي جئتنا به يا محمدُ سحرٌ واضحٌ، لأنه يؤثرُ في النفوسِ كما يؤثرُ السحرُ.

وفي وصفهم للقرآنِ الكريمِ بأنه سحرٌ، دليلٌ على عجزِهم عن الإتيانِ بمثلِه، قالَ تَعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[3]، والوليدُ بن المغيرة المخزوميّ وهو من كبارِ المشركين حين سمعَ القرآنَ تأثرَ به، فقال «إن له لحلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإن أسفلَه لمغدقٌ، وإن أعلاه لمثمرٌ، وإنه يعلو ولا يُعْلَى عليه، وما هذا بكلامِ البشرِ»[4].

وهذا أبوجهلٍ وأبوسفيانَ والأخنسُ بن شُرَيقٍ وهم من كبارِ المشركين يتسلّلون ذاتَ ليلةٍ ليستمعوا إلى النبي -ﷺ- وهو في بيته يقرأُ القرآنَ وأخذوا ينصتون له وكلٌّ منهم لا يعلمُ عن الآخر حتى طلع الفجرُ فتفرقوا عائدين إلى منازلهم فجمعهم الطريقُ فأخذوا يتلاومون وقالوا لبعضهم: (لا تعودوا فلو رآكم أتباعُكم لضعُفَ أمرُكم) وفي الليلةِ الثانيةِ والثالثةِ اجتمعوا أيضاً ثم تعاهدوا ألا يرجعوا[5].

وتتابع الآياتُ لتسردَ مزاعمَ الكفارِ على القرآنِ حيث قالوا: إنك يا محمدُ افتريتَ هذا القرآنَ واختلقته من عند نفسك؟ وهم قد شهدوا له بالصدقِ والأمانةِ قبل البعثةِ.

(١) سورة البقرة: ١٦٦.
(٢) سورة مريم: ٨١.
(٣) سورة البقرة: ٢٣.
(٤) رواه البيهقي.
(٥) سيرة ابن هشام.

أدب النبي -ﷺ- في رده على المشركين:

ويأْمرُ اللهُ تعالى رسولَه الكريمَ -ﷺ- بأنْ يردَّ على فريةِ هؤلاءِ المفترينَ، وأن يقولَ لهم: لو أنني صدّقتكُم في فريتِكم وزعمتُ أن الله بعثني إليكم رسولاً، فهل تظنون أن اللهَ يتركُني؟ لو أنني كذبت على الله لعاقبني أشدَّ العقابِ، ولم تقدروا أنتم ولا أحدٌ من أهل الأرضِ أن يدفعَ عني عذابَ الله.

والله أعلم بما تخوضون فيه من التكذيبِ بالقرآن، والطعنِ في آياته، والقَولِ إنها سحرٌ، وكفى بشهادة الله بيني وبينكم، فهو الذي يعلم أني صادقٌ فيما أبلّغُه عنه سبحانه، ويعلمُ أنكم كاذبون فيما تزعمونه.

وهذا من أدبِ الحوارِ الذي تأدّب به سيدُنا رسول الله -ﷺ- فهم يتهمونه بتعمد الكذبِ وهو يحرص على هدايتهم، وفي موضعٍ آخرَ يرد الله تعالى عليهم كما جاء على لسان نوح عليه السلام فيقول ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

والله - تعالى- واسعُ المغفرةِ والرحمةِ، لمن تاب إليه وأناب، وفي هذا ترهيبٌ لهم من الاستمرار في كفرهم، وترغيبٌ لهم في الدخولِ في الإيمان لينالوا مغفرةَ الله -تعالى- ورحمته. وهكذا يناقش الإسلامُ عقولَ الكفار ويتخذُ الحوارَ وسيلةً لإقامةِ الحجةِ عليهم طمعاً في هدايتهم.

من هداية الآيات:

١ - الإيمانُ بيوم القيامةِ.

٢ - وقوعُ العداوة بين الكفارِ وآلهتهم يومَ القيامة.

٣ - تكذيبُ المشركين للنبيّ -ﷺ-.

٤ - الله تعالى غفورٌ رحيمٌ لمن تابَ إليه وآمن به.

٥ - الحوارُ وسيلةٌ لإقامةِ الحجةِ على المكذبين.

(١) سورة هود: ٣٥.

الدرس الثالث
القرآن كلام الله تعالى
الآيات (٩ – ١٤) من سورة الأحقاف

قالَ تَعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
بِدْعًا	هو الذي أحدث أمراً جديداً في الدين
قُلْ أَرَءَيْتُمْ	أخبروني
إِفْكٌ	كَذِب

المعنى الإجمالي:

محمد -ﷺ- لا يعلم الغيب:

يأمرُ اللهُ تعالى رسولَه -ﷺ- بأن يردَّ على المشركينَ، ويبيّنَ لهم أنَّ ما جاءَهم به من التوحيدِ، قد جاءتْ به الرسلُ السابقةُ لأقوامِهم، وأنَّه ليسَ بأوّلِ رسولٍ جاءَ إلى الخلقِ وبلَّغَ رسالةَ ربّه.

ومع أنّي رسولٌ من عندِ اللهِ تعالى فأنا لا أعلمُ الغيبَ ولا أدْري ما سيحدثُ في الدنيا معكم، ولا أقولُ لكم إلا ما أنزلَ اللهُ - تعالى- إليَّ، وما أنا إلا نذيرٌ مبينٌ، أوضّحُ لكم الحقَّ منَ الباطلِ، وأُخوّفُكم من سوءِ المصيرِ، إذا ما بقيتُم على كفرِكم وشركِكم.

والمقصودُ بقولهِ -تعالى-: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ أي: في دار الدنيا، أمّا بالنسبةِ للآخرةِ، فاللهُ -تعالى- قد بشّرهُ وبشّر أتباعَه بالثوابِ العظيمِ في آياتٍ كثيرةٍ، ومنْ ذلكَ، قالَ تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾[1]، قالَ تعالى:﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝٤٧﴾[2].

ثم يخاطبُ المشركينَ: أخْبروني عن حالِكم إنْ ثبتَ أنَّ هذا القرآنَ منزلٌ من عندِ اللهِ تعالى، وأنَّه ليسَ بسحرٍ ولا مفترىً على اللهِ كما تزعمونَ، وشهدَ شاهدٌ منْ علماءِ بني إسرائيلَ على أنَّ هذا القرآنَ منزَلٌ منْ عندِ اللهِ تعالى فآمنَ بهِ واستكبرتُمْ أنتمْ فلمْ تؤمنوا، فلا تكونوا أضلَّ الناسِ وأظلَمهم؟ واللهُ لا يهدي القومَ الظالمينَ.

سبب النزول:

وقد جاءَ في سببِ نزولِ هذه الآيةِ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾ «أنّ عبدَالله بنَ سلام -رضي الله عنه- جاءَ إلى النبيّ -صلى الله عليه وسلم- فقال: أشهدُ أنّك رسولُ الله وأنَّك جئتَ بالحقِّ، فادعُ اليهودَ فاسألْهم عنّي قبلَ أنْ يعلموا أني قد أسلمتُ، فأرسلَ لهمْ، فأقبلوا فدخلوا عليه فدعاهم الرسولُ -صلى الله عليه وسلم- للإسلامِ فرفضوا. فقال لهم: فأيُّ رجل فيكم عبدُالله بنُ سلام؟ قالوا: ذاك سيّدُنا وابنُ سيّدِنا وأعلمُنا وابنُ أعلمِنا!قال: أفرأيتمْ إن أسلمَ؟ قالوا: حاشا للهِ ما كانَ ليسلمَ! قال: يا ابنَ سلام اخرجْ عليهمْ، فخرجَ، فقال: يا معشرَ اليهودِ اتقوا اللهَ، فواللهِ الذي لا إله إلا هو إنّكم لتعلمونَ أنّه رسولُ اللهِ، وأنّه جاءَ بالحقِّ. فكذّبوهُ كعادتِهم».

(١) سورة الضحى: ٥.
(٢) سورة الأحزاب: ٤٧.

حجة المشركين لعدم الدخول في الاسلام:

ثمَّ أخبرَ اللهُ تعالى عنْ بعضِ أعذارِ الكفارِ الفاسدةِ التي اعتذروا بها عن كفرِهم وعدمِ دخولِهم في الإسلامِ ومنها:

أولاً: لو كانَ ما أتى بهِ محمدٌ حقاً، ما سبقَنا إليه الضعفاءُ والفقراءُ مثلُ بلالٍ وعمارٍ وصهيبٍ، قالَ تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[1]، وذلك لأنَّ الكفارَ يظنونَ بأنَّ لهم وجاهةً ومكانةً عندَ اللهِ تعالى.

ثانياً: وبما أنّهم لم يؤمنوا برسالةِ محمدٍ -ﷺ- وبالقرآنِ، فسيقولونَ: هذا كَذِبٌ قديمٌ من أساطيرِ الأولينَ.

القرآن والتوراة رحمة من الله تعالى:

ثمَّ يمدحُ اللهُ تعالى التوراةَ التي أنزلَها على موسى -عليه السلام-، وأنَّها قدوةٌ لمَنْ اتّبعَه ونجاةٌ لمَنْ سارَ عليه، والقرآنُ والتوراةُ كلاهما من مصدرٍ واحدٍ، والقرآنُ مصدّقٌ للكتبِ السماويةِ السابقةِ ومهيمنٌ عليها، قالَ تَعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[2]، وقد نزلَ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ليكونَ نذيراً للكافرِ الظالمينَ، وبشارةً للمؤمنينَ المحسنينَ.

صفات المؤمنين وجزاؤهم:

وهؤلاء المؤمنونَ الذينَ قالوا: ربُّنا اللهُ لا إلهَ غيرُه، ولا معبودَ سواهُ، ثم ثبتُوا على إيمانِهمْ، ولمْ يخلطوه بشركٍ أو ظلمٍ، فلا خوفَ عليهم يومَ القيامةِ، ولا يحزنونَ على ما تركوه وراءَهم في الدنيا، وهم أصحابُ الجنةِ يَخلُدونَ فيها أبداً، ثواباً لهم منْ عندِ اللهِ، وجزاءً لهم على

(١) سورة الأنعام: ٥٣.
(٢) سورة المائدة: ٤٨.

إيمانِهم وأعمالِهم الصالحةِ. سُئلَ ابنُ عباسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن أرجى آيةٍ في كتابِ اللهِ؟ فقال قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

من هداية الآيات:

١ - القرآنُ الكريمُ مصدّقٌ للكتبِ السماويةِ السابقةِ.

٢ - الكِبْرُ أحدُ أسبابِ الضلالِ والكفرِ.

٣ - الكفارُ دائماً يبحثونَ عن الأعذارِ التي تبرّرُ لهم كفرَهم.

٤ - الإيمانُ والاستقامةُ طريقُ الجنةِ.

(١) سورة فصلت: ٣٠.

الدرس الرابع
الإحسان إلى الوالدين
الآيات (١٥ -١٨) من سورة الأحقاف

قالَ تَعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَوَصَّيْنَا	أَمَرْنا
وَفِصَٰلُهُۥ	فطامه
أَوْزِعْنِىٓ	ألهِمْني وأرشِدْني

المعنى الإجمالي:

أهمية بر الوالدين:

لمّا ذكرَ تعالى في الآية الأولى توحيدَه وإخلاصَ العبادةِ لهُ، عطفَ وقرنَ بالوصيةِ بالوالدَيْن، وهذا العطفُ وردَ في آياتٍ كثيرةٍ كقولهِ تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[1] وقوله جلّ جلاله ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾[2] وبرُّ الوالدَيْنِ هو: الإحسان إليهما تقرباً إلى اللهِ تعالى. كما عدَّ الإسلامُ عقوقَ الوالَدْينِ من الكبائرِ فعن عبداللهِ بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسولَ الله -ﷺ- قال «الكبائرُ: الإشراكُ باللهِ وعقوقُ الوالدين وقتلُ النفسِ واليمينُ الغموسُ»[3]، وعقوقُ الوالدين: ما يتأذَّى به الوالدانِ من ولدِهما من قولٍ، أو فعلٍ، إلا في شركٍ أو معصيةٍ.

ثم بيَّنَ تعالى سببَ توصيتهِ الإنسانَ ببرّ والديه لأنَّهما السببُ المباشرُ في وجودِ الولدِ، لاسيَّما الأمُ التي قاستْ في حملِه مشقةً وتعباً، وفي وضعِه مشقةً وألماً، ومدةَ حملِ الطفلِ وفطامِه ثلاثون شهراً وكلُّ ذلكَ يستدعي من الإنسانِ الشكرَ، والتكريمَ، وجميلَ الصحبةِ لوالدَيْهِ والدعاءَ لهما، وفي هذهِ الآيةِ إشارةٌ إلى أنّ حقَّ الأمِّ آكدُ من حقِّ الأبِ.

مظاهرِ بر الوالدين:

حتى إذا كبرَ الإنسانُ ووصَلَ إلى كمالِ قوّتِه وعقلِه، وبلغَ أربعينَ سنةً من عمرِه قال: ربِّ ألهْمني ووفقْني إلى شكرِ نعمتِك التي أنعمت بها عليَّ وعلى والديّ، واجعلْني أعملْ عملاً صالحاً يرضيك عني لأنالَ ثوابَه عندكَ، واجعلْ الصلاحَ سارياً في ذرّيتي، إنّي تبتُ ورجعتُ إليكَ، وإنّي من المستسلمينَ لأمرِكَ وقضائِكَ، والآيةُ تشيرُ وتنبّهُ العقلاءَ عندَ بلوغِ سنّ الأربعينَ إلى الإكثارِ من التضرعِ إلى اللهِ تعالى بالدعاءِ والتزودِ من العملِ الصالحِ فهي السنُّ التي بُعثَ فيها الأنبياءُ وهي كمالَ عقلٍ وقوةِ الإنسانِ.

ثمَّ يبيّنُ اللهُ تعالى أنَّ هؤلاءِ التائبين إلى الله المنيبين إليه، المستدركين ما فات بالتوبة والاستغفار، هم الذين نتقبلُ عنهم أحسنَ ما عملوا ولو كان يسيراً، ونتجاوزُ عن سيئاتِهم، قالَ

(١) سورة الإسراء: ٢٣.
(٢) سورة لقمان: ١٤.
(٣) رواه البخاري.

تَعالى: ﴿فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ أي هم في جملةِ أصحابِ الجنةِ، وهذا حكمُهم عندَ اللهِ كما وعدَ، وهو سبحانَه لا يخلفُ وعدَه.

صور من عقوق الوالدين

ثم ذكرتِ الآياتُ الكريمةُ الأَشقياءَ أهلَ العقوقِ للوالدَيْنِ، المنكرينَ للبعثِ والنشورِ، قالَ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾: أي الذي قالَ لوالدَيْه حينَ دَعَوَاهُ إلى الإيمانِ باللهِ فردَّ عليهما متضَجِّراً: أفٍّ لكما، أتقولانِ إنني سأُبعثُ من قبري حياً بعد موتي، وبعدَ أنْ أصيرَ تراباً ورميماً؟ إنَّ هذا لأَمرٌ لا يُصَدقُ، فهذه أجيالٌ من البشرِ مضتْ، وأممٌ قد خلتْ، ولم يبقَ منها أحدٌ.

وقد استغاثَ والداه باللهِ استعظاماً لجُرْمِه، وقالا له: هلكتَ إن لمْ تُؤمنْ بالبعثِ بعدَ الموتِ، ثمَّ بالحسابِ والجزاءِ على الأعمالِ، فوعدَ اللهِ حقٌّ لا شكَّ فيهِ. ويردُّ الولدُ على نصيحةِ والدَيْه قائلاً: إنّ ما يقولانِه له إنما هو أباطيلُ الأولينَ وخرافاتُهم.

وهؤلاءِ الذينَ اتصفوا بصفاتِ أهلِ الكفرِ باللهِ، والعقوقِ للوالدَيْن، يُصنفونَ في زمرةِ أمثالِهم من الكافرينَ من أممٍ قد مضَتْ قبلَهم من الإنسِ والجنِ، فحقّتْ عليهم عقوبةُ اللهِ وعذابُه، لذلكَ همُ الخاسرونَ، قالَ تَعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾[1].

من هداية الآيات:

١ – طاعةُ الوالدَيْن والإحسانُ إليهما طريقٌ للجنّةِ.

٢ – شكرُ اللهِ تعالى على نعمِه الكثيرةِ.

٣ – التوبةُ واجبةٌ على الإنسانِ.

٤ – عقوقُ الوالدينِ من الكبائرِ.

(١) سورة الزمر: ١٥.

الدرس الخامس
عدل الله تعالى بين خلقه
الآيات (١٩ – ٢٠) من سورة الأحقاف

قالَ تَعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
دَرَجَٰتٌ	منازل
تُجْزَوْنَ	تُثابون
ٱلْهُونِ	الذّل

المعنى الإجمالي:

عدل الله تعالى يوم القيامة

تقرّرُ الآياتُ عدلَ اللهِ بينَ خلقِه وأنّ الجزاءَ من جنسِ العملِ، فالناسُ فريقانِ يومَ القيامةِ فريقٌ في الجنةِ وفريقٌ في النارِ، ليظهرَ كمالَ عدلِ اللهِ تعالى فيهم، وليوفيَهم ربُّهم أجورَ أعمالِهم، ولا يظلمُهم شيئاً: فلا يزيدُ في سيئاتِهم، ولا ينقصُهم شيئاً من حسناتِهم، قالَ تَعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، وقالَ تَعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾[2]، بل حرَّم اللهُ تعالى الظلَم على نفسِه، فقد قالَ تَعالى في الحديثِ القدسيِّ «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»[3]، فيومَ القيامةِ تُجْزى كلُّ نفسٍ بما كسبتْ لاظلمَ فيه ولا بخسَ، قالَ تَعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾[4] وقد بيَّن نبيّنا -ﷺ- شمولَ العدلِ لكلِّ الكائناتِ حتى بينَ الأنعام في قوله: «لتؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلِها يوم القيامة، حتى يُقادَ للشاةِ الجَلْحاءِ من الشاةَ القرناءِ»[5].

توبيخ المشركين يوم القيامة

ثم تُرينا الآياتُ الكريمةُ مشهداً منْ مشاهد يومِ القيامةِ، عندما يقفُ الكفارُ ويقربونَ من النارِ فيُقالُ لهمْ على سبيلِ التوبيخِ واللومِ الشديدِ: إنَّ كلَّ ما قُدِّرَ لكمْ من الطيباتِ والنعيمِ قد استمتعتمْ بهِ واستوفيتموه كاملاً في حياتِكم الدنيا، فليسَ لكم في الآخرةِ غيرُ الخِزْيِ والإهانةِ والذّلِ، جزاءً لكم على استكبارِكم عن اتباعَ الحقِّ، وعلى فسقِكم وخروجِكم عن طاعةِ ربِّكم، قالَ تَعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[6].

وكان عمرُ بنَ الخطابِ -رضي الله عنه- من شدةِ زهدِه وورعِه يتمثلُ بهذهِ الآيةِ ويقولُ: إنّي أخافُ أنْ أكونَ من الذينَ يُقالُ لهمْ هذه الآيةُ... وهذا من خوفِه وورعِه.

(١) سورة الأنبياء: ٤٧.
(٢) سورة ص: ٢٨.
(٣) رواه مسلم
(٤) سورة غافر: ١٧.
(٥) رواه مسلم.
(٦) سورة هود: ١٠١.

زهد النبي -ﷺ-

دخلَ عمرُ -رضي الله عنه- على النبيّ -ﷺ- وكان مضطجعاً على حصيرٍ وتحتَ رأسِه وسادةٌ محشوةٌ ليفاً، فقالَ عمرُ: يا رسولَ اللهِ أنتَ نبيّ اللهِ وصفوةُ خلقهِ وكسرى وقيصرُ على سُرُرِ الذهبِ وفُرُشِ الدّيباجِ والحريرِ فقالَ له النبيُّ -ﷺ- : «إنَّ أولئكَ قومٌ عُجّلتْ لهم طيباتُهم في الدنيا وإنّا أُخّرتْ لنا طيباتُنا»(١).

قال الشاعر:

ولـــو أَنّـــا إذا مِـتْـنـا تُـرِكْـنـا ... لـكـانَ الـمـوتُ راحَـــةَ كـلِّ حيّ

ولـكـنّـا إذا مـتـنـا بُـعْـثـنـا ... ونُـسْـأَلُ بـعـدَهُ عـنْ كـلِّ شيّ

من هداية الآيات:

١ - اللهُ تعالى عدلٌ لا يَظْلمُ أحداً.

٢ - الإيمانُ والتصديقَ بمشاهدِ يومِ القيامةِ.

٣ - منازلُ الناسِ على قدرِ أعمالِهم سواءً في الجنةِ أو في النارِ.

٤ - استحقَّ الكفارُ العذابَ بسببِ كفرِهم وعنادِهم واستكبارِهم عن الحقِّ.

(١) صحيح الجامع الصغير.

الدرس السادس
قصة هود عليه السلام
الآيات (٢١ – ٢٥) من سورة الأحقاف

قالَ تَعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
بِٱلۡأَحۡقَافِ	تلال عظيمة من الرمال ببلاد اليمن
لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا	لتصرفنا عن عبادة الأصنام
خَلَتِ ٱلنُّذُرُ	مضت الرسل
عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ	سحاب فيه مطر

المعنى الإجمالي:

فضل التوحيد وعاقبة الشرك:

يأمرُ اللهُ -تعالى- رسولَه محمداً -ﷺ- أن يخبرَ كفارَ مكةٍ بما نزلَ بقبائلِ عادٍ التي كانتْ تسكنُ في اليمنِ عندما كذّبُوا نبيَّهم هوداً -عليه السلام- حينَ دعاهم إلى عبادةِ اللهِ وحدَه، وهي

دعوةُ جميعِ الأنبياءِ والرسلِ – عليهم السلام – كما قالَ تَعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[1] وكما قالَ الرسولُ -ﷺ-: «أفضلُ ما قلتُه أنا والنبيونَ من قبلي لا إله إلا الله»[2]، والهدفُ من ذكرِ قصةِ هودٍ -عليه السلام- أنْ يتّعظَ أهلُ مكةَ ويعتبرُوا، ورَغمَ أنّ اللهَ قد امتنَّ على عادٍ، فجعلَهم أشدَّ أهلِ زمانِهم وأقواهم، إلا أنهم عانَدوا نبيَّهم، وتمرّدُوا على دعوتِه، وظلُّوا على عبادةِ الأصنام، وقد كانوا أولَ مَنْ عبدوها بعد طوفانِ نوحٍ -عليه السلام-[3] وفي قولِه ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ دلالةٌ على حرصِ الرسلِ عليهم السلام على هدايةِ أقوامِهم لتكونَ سبباً في نجاتِهم من عذابِ النارِ، بل تَمادى قومُ هودٍ في الضلالِ حتى طلبوا من نبيّهم أَنْ يأتيهم بالعذابِ الذي توعّدهم اللهُ بِه، غيرَ أنّ هوداً -عليه السلام- أخبرَهم أنَّ مهمتَه البلاغُ، وأنّ اللهَ وحَده يعلمُ الغيبَ، ثم زجرَهم نبيُّ اللهِ تعالى هودٌ -عليه السلام- بسؤالِهم استعجالَ العذابِ وبيَّنَ أن ذلك حماقةٌ وجهلٌ، ولما رأَتْ قبيلةُ عادٍ أنّ سحاباً يلوحُ في الأفقِ فرحُوا لأنهم ظنوهُ مطراً ينتفعونَ بِه، إلا أنَّ هوداً -عليه السلام- أخبرَهم أنّ هذا عذابُ اللهِ الذي استعجلتموه.

جزاء الظالمين:

ثم تخبرُ الآياتُ الكريمةُ أنَّ اللهَ تعالى عاقبَ عاداً بالريحِ العاصفةِ، سخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ متتالياتٍ فدمّرتْ بيوتَهم وأهلكتْ كلَّ شيءٍ أتتْ عليه ولم تُبقِ إلا الديارَ خاويةً تلكَ هي عاقبةُ الظالمينَ المكذبينَ بالرسلِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ولا شكَّ أنَّ مَنْ يكذّب الرسلَ – عليهم السلام – ويظلُّ على كفرِه فهو ظالمٌ لنفسِه، وظلمُ النفسِ من أشدِّ أنواعِ الظلمِ، ومن رحمةِ اللهِ تعالى بعبادِه أنه لا يُعَذبُ أحداً من الخلقِ إلا بعد إرسالِ الرسلِ وإقامةِ الحجةِ على الناسِ.

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.
(٢) رواه الترمذي
(٣) قصص الأنبياء: ابن كثير ص ٦٠.

فائدة: الفرقُ بينَ الريحِ والرياحِ:

والرياحُ بالجمعِ تأتي بالخيرِ قالَ تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾[1]، أما الريحُ بالإفرادِ فتأتي بالشرّ، قالَ تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ ﴾[2]، فعن عائشةَ – رضي الله عنها – أنها قالتْ: «كانَ رسولُ الله –ﷺ–إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرِفَ في وجهِهِ، فقلتُ يا رسولَ اللهِ: الناسَ إذا رأوا الغيمَ فرحُوا رجاءَ أن يكونَ فيهِ المطرُ، وأراكَ إذا رأيتَه عُرِف في وجهكَ الكراهيةُ؟ فقالَ يا عائشةُ: ما يؤمّنني أن يكونَ فيه عذابٌ، عُذّبَ قومٌ بالريحِ»[3]، وقد قال –ﷺ– «اللهمّ اجعلْها رياحاً ولا تجعلْها ريحاً»[4].

من هداية الآيات:

١ – على الدعاةِ أن يتأدّبوا بأدبِ النبوةِ في مخاطبةِ الناسِ.

٢ – ينبغي ألا يغترّ إنسانٌ بما عندَه.

٣ – الرياحُ تبشّرُ بالخيرِ والريحُ بالعذابِ.

٤ – جميعُ الرسلِ جاؤوا بدعوةِ التوحيدِ.

٥ – بيانُ سنةِ اللهِ تعالى في إهلاكِ المكذبينَ.

(١) سورة الحجر: ٢٢.
(٢) سورة الحاقة: ٦.
(٣) مسند أحمد.
(٤) الجامع الصغير.

الدرس السابع
تحذير قريش من عاقبة الكفر
الآيات (٢٦ – ٢٨) من سورة الأحقاف

قالَ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَأَفْـِٔدَةً	عقول
يَجْحَدُونَ	ينكرون
وَحَاقَ بِهِم	أحاط بهم
إِفْكُهُمْ	كذبهم

المعنى الإجمالي:

بالشكر تدوم النعم:

تخاطبُ الآياتُ الكريمةُ كفارَ قريشٍ بأنَّ اللهَ -تعالى- مكَّنَ عاداً في الأرضِ أي: أعطاهم منْ أسبابِ القوةِ والتمكينِ، ومنحَهم النعمَ كما منحَكم، وأعطاهم الآذانَ ليستعملوها في سماعِ الدلائلِ، ورزَقَهم الأبصارَ ليتأملوا في آياتِ اللهِ، وامتنَّ عليهم بالعقولِ ليدركوا عظمةَ الخالقِ

وبدلاً من شكرِ هذهِ النعم كفروا بالمُنْعم، قالَ تَعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[1]، وصرفوا هذهِ القِوَى إلى طلبِ الدنيا ولذاتِها، كما أنتم تفعلونَ الآنَ، فكانَ جزاؤُهم الهلاكَ بسببِ جحودِهم واستهزائِهم بما جاءتْ بهِ الرسلُ، وهو جزاءُ كلِّ معاندٍ، يقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

عذابَ المكذبينَ:

وتدعو الآياتُ الكريمةُ أهلَ مكةَ أن يعتبروا من القرى التي بجوارهمْ، والتي أهلكَها اللهُ نتيجةَ كفرِها كعادٍ التي كانتْ تسكنُ الأحقافَ، وقد أنزلَ اللهُ عليها ريحاً عاتيةً، وثمودُ التي كانتْ تسكنُ الحجرَ فقد عاقَبها اللهُ بالصيحةِ، وقومُ لوطٍ الذينَ سكنُوا سدومَ فقد عاقبَهم اللهُ -عزَّ وجلَّ- بالخسفِ وجعلَ عاليَها سافلَها، وفي هذا تخويفٌ للمشركينَ لأنّ اللهَ تعالى قد كرّرَ المواعظَ والبيناتِ، وضربَ الأمثالَ لأهلِ مكةَ لعلّهم يرجعونَ عن الكفرِ إلى الحقِّ فيؤمنونَ ويوحدونَ.

الأصنام لا تنفع ولا تضر:

ثم يوبّخُ اللهُ تعالى المشركينَ بقوله: لو كانتْ آلهتُكم التي تعبدونَها من دونِ اللهِ تُغْنِ عنكمْ من اللهِ شيئاً، فتنفعَكم أو تقربَكم إلى اللهِ أو تصرفَ عنكم العذابَ لأغنتْ عمّنْ كانَ قبلَكم، من الأممِ التي أهلكَها اللهُ بعبادتِهم الأصنامَ، والإفكُ أشدّ أنواعِ الكذبِ، واعتقادُ المشركينَ بأنّ الأصنامَ والأحجارَ آلهةٌ تنفعُ وتضرُّ هو عينُ الافتراءِ، الذي حذَّر منه القرآنَ الكريمَ في مواضعَ عدّةٍ، قالَ تَعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي

(١) سورة إبراهيم:٧.
(٢) سورة الحج: ٤٦.

ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾[1].

من هداية الآيات:

١ – قصصُ السابقينَ في القرآنِ الكريم للعظةِ والعبرةِ.
٢ – وجوبُ استخدامِ النعمِ في شكرِ المنعمِ أو فيما خُلقتْ له.
٣ – لا يعذّبُ اللهُ أحداً إلا بعدَ إنذارِه.
٤ – لم يتّعظْ كفارُ قريشٍ بأخبارِ السابقينَ.
٥ – العاقلُ مَنْ يتّعظُ بغيرِه.
٦ – الإفكُ أشدُّ أنواعِ الكذبِ.

(١) سورة يونس: ٦٩ – ٧٠.

الدرس الثامن
الدعوة الإسلامية عامةً للإنس والجن
الآيات (٢٩ – ٣٢) من سورة الأحقاف

قالَ تَعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
صَرَفْنَآ إِلَيْكَ	بعثنا إليك
نَفَرًا	العدد أقل من عشرة
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ	مؤيداً لما قبله
وَيُجِرْكُم	يحفظكم

المعنى الإجمالي:

سببُ نزولِ قوله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

خرجَ الرسولُ –ﷺ– ذاتَ ليلةٍ، ونزلَ مكاناً يُسمّى بطنَ نخلةٍ، ولم يكنْ معه أحدٌ من أصحابِه، وجاءَ إليه تسعةٌ من الجنِّ، وسمعُوا منه القرآنَ الكريمَ، وقال بعضُهم لبعضٍ: صَهٍ،

يعني: (اسكتوا) وآمنوا برسالةِ الإسلامِ.

تخبرُ الآياتُ الكريمةُ أنّ الرسولَ - ﷺ - قرأَ القرآنَ الكريمَ يوماً فسمعَه عددٌ من الجنِّ فاستحسنوا تلاوتَه وعظَّموا كتابَ اللهِ تعالى، بل وآمنوا بالإسلامِ، وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ الجنَّ كانوا أحسنَ حالاً من كفارِ قريشٍ الذين كانوا يسخرونَ من القرآنِ عندَ سماعِه، وفي ذلكَ يقولُ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾[1]، والجنُّ كالإنسِ فيهمُ الصالحُ والطالحُ، قالَ تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١﴾[2]، إلا أنَّ الجنَّ يختلفونَ عن الإنسِ من حيثُ أصلُ خلقتِهم، فقد خُلِقُوا من نارٍ، والإنسانُ خُلقَ من طينٍ، أما الملائكةُ فقد خُلِقَت من نورٍ.

دعوةُ الجنِّ للإسلام:

وتوضّحُ الآياتُ الكريمةُ أنَّ الجنَّ ذهبوا إلى قومِهم وأخبرُوهم أنَّهم سمعوا كتاباً أُنزلَ منْ بعدِ التوراةِ التي أنزلَها اللهُ على موسى -عليه السلام- يؤيدُها ويتفقُ معَها في المنهجِ، وأنَّ هذا الكتابَ يهدي إلى الحقِّ ويرشدُ إلى الطريقِ القويمِ، ثم حثَّتِ الجنُّ أتباعَهم على الإيمانِ بالرسولِ - ﷺ - واتباعِ دعوتِه، لأنَّ في ذلكَ مغفرةٌ لذنوبِهم، ونجاةٌ لهم من النارِ، قالَ تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾[3]، وقد ثبت أنَّ الجنَّ وفدوا على رسولِ اللهِ - ﷺ - أكثرَ من مرةٍ لسماعِ الذكرِ، بل ثبت في السنةِ أن الجنَّ كانوا يحسنونَ سماعَ الذكرِ، فعن جابرٍ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قرأَ يوماً سورةَ الرحمنِ على الصحابةِ فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها البارحةَ على الجنَّ فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنتُ كلما قلتُ فبأيّ آلاءِ ربكما تكذبانِ قالوا: ولا بشيءٍ من آلائك ربَّنا نكذِّبُ فلكَ الحمدُ»[4]، والمؤمنُ الصادقُ هو الذي يخشعُ عندَ سماعِه للقرآنِ الكريمِ.

(١) سورة فصلت: ٢٦.
(٢) سورة الجن: ١١.
(٣) سورة الذاريات ٥٦.
(٤) رواه الترمذي.

عاقبة المعرضين عن الحق:

ثم تبيّنُ الآياتُ الكريمةُ أنَّ مَنْ يُعرِضُ عن الرسولِ – ﷺ – ولا يستجيبُ لدعوته لا يمكنُه الهربُ من غضبِ اللهِ، ولا معينَ لهُ ولا نصيرَ، ومأواهُ النارُ وبئسَ المصيرُ، وفي الآياتِ الكريمةِ بيانٌ لأهميةِ الدعوةِ وفضلِها، فعن أبي هريرةَ –رضي الله عنه– أنَّ رسولَ الله – ﷺ– قالَ: «مَنْ دعا إلى هدىً كانَ له من الأجرِ مثلُ أجورِ مَنْ تبعَه لا ينقصُ ذلكَ مِنْ أجورِهم شيئاً، ومَنْ دعَا إلى ضلالةٍ كانَ عليه مِنْ الإثمِ مثلُ آثامِ مَنْ تبعَه لا ينقصُ ذلكَ من آثامهم شيئاً»(١).

من هداية الآيات:

١ – الدعوةُ الإسلاميةُ عامةٌ للإنسِ والجنِّ.

٢ – عظمةُ القرآنِ وقوةُ تأثيرِه لأنه كلامُ اللهِ الذي لا يأتيه الباطلُ من بينِ يدَيْهِ ولا من خلفِه.

٣ – حرْصُ المؤمنِ على دعوةِ الناسِ إلى الخيرِ.

٤ – الجنُّ مِنْ مخلوقاتِ اللهِ.

٥ – القرآنُ مُصدّقٌ للكتبِ السابقةِ قبلَ تحريفِها.

٦ – النارُ مصيرُ المعرضينَ عن ذكرِ اللهِ تعالى.

(١) رواه مسلم.

الدرس التاسع
الصبر طريق النجاة
الآيات (٣٣ – ٣٥) من سورة الأحقاف

قالَ تَعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
يَعْىَ	يضعف
وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ	لا تدع عليهم
بَلَٰغٌ	إنذار

المعنى الإجمالي:

قدرةُ الله على البعثِ

جاءتِ الآياتُ الكريمةُ لتردَّ على منكري البعثِ، وتظهرَ قدرةَ الله على إحياءِ الناسِ بعدَ الموتِ، فبيَّنتْ أنَّ الذي خلقَ السماواتِ على اتساعِها، وما فيها من نجومٍ وكواكبٍ، وخلقَ الأرضَ على امتدادِها وما تحوي من جبالٍ وأنهارٍ وبحارٍ ومحيطاتٍ لا يعجزُ أبداً عن إحياءِ الموتى، لأنه قادرٌ على كلِّ شيءٍ قالَ تَعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْۦِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ

رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[1].

كفارُ مكةَ ينكرونَ البعثَ:

وقد وردَ أنَّ أميةَ بنَ خلفٍ وكانَ من كفارِ قريشٍ أتى رسولَ الله -ﷺ- وفي يدِهِ عظمٌ رميمٌ، فتَّتَه أمام الرسول -ﷺ- وقال ساخراً أتزعمُ يا محمدُ أنَّ اللهَ يُحيينا بعد أن نصبحَ رفاتاً مثل هذا؟ فقالَ لهُ -ﷺ-: نعم يبعثُكَ ويدخلُكَ النارَ[2]، ثم تبيّنُ الآياتُ أنَّ يومَ القيامةِ حقٌّ وأنَّ الساعةَ لا شكَّ فيها، وأن الكفارَ يظلّونَ على عنادِهم حتى يشاهدوا عذابَ اللهِ، فيُقالُ لهم - حينئذٍ - على سبيلِ التوبيخِ أليسَ هذا هو العذابُ الذي كنتم تنكرونَه في الدنيا؟ فيقولونَ نعمْ، وحينئذٍ ينزلُ بهمُ العذابُ نتيجةَ كفرِهم.

صبرُ أُولي العزمِ من الرسل عليهم السلام:

ثم يسلي اللهُ رسولَه -ﷺ- ويصبّرُه على أذى قومِه وصدِّهم عن دعوتِه ونكرانِهم للبعثِ، فيذكّرُه بحالِ أولي العزمِ من الرسلِ - عليهم السلام - وأوّلُهم نوحٌ ثم إبراهيمُ ثم موسى ثم عيسى وآخرُهم محمدٌ -ﷺ-، ولُقّبوا بهذا اللقبِ لأنهم كانوا أكثرَ الأنبياءِ صبراً على أذى أقوامِهم، وقد قصَّ اللهُ -تعالى- طرفاً من الإيذاءِ الذي لاقاه أولو العزمِ -عليهم السلام- فهذا نبيُّ الله نوحٌ -عليه السلام- مكثَ يدعو قومَه ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً، فما آمنَ معهُ إلا قليلٌ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[3]، أما خليلُ الرحمنِ إبراهيمُ -عليه السلام- فقدْ ظلَّ يجاهدُ ويحذّرُ من عبادةِ الأصنامِ، حتى ضاقَ به قومُه كما قالَ تعالى: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[4]، وموسى كليمُ الله -عليه السلام- لاقى من فرعونَ وبني إسرائيلَ ألواناً من الإيذاءِ، وصنوفاً من الضيقِ، ومع ذلكَ صبرَ وتحمّلَ

(١) سورة يس: ٧٨-٧٩.
(٢) صفوة التفاسير ٣/ ٢٤.
(٣) سورة العنكبوت: ١٤.
(٤) سورة الأنبياء: ٦٨-٦٩.

حتى أدَّى رسالتَه، وكذلكَ عيسى -عليه السلام- صبَر على إيذاءِ بني إسرائيلَ حتى رفَعه اللهُ إليهِ ونجَّاه منهم.

مظاهرُ رحمةِ الرسولِ -ﷺ- بالناسِ:

يوجّهُ اللهُ رسولَه -ﷺ- بأَنْ لا يدعو على كفارِ قريشٍ، وقد كانَ هذا شأنُه قال: -ﷺ-: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[1]، بل كانَ يدعو لهمْ، ويحرصُ على إيمانِهم رغمَ انصرافِهم عنهُ، وكانَ -ﷺ- يتحسّرُ على عدمِ إيمانِ قومِه حتى قالَ اللهُ لهُ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾[2]، وتوضّحُ الآياتُ في نهايتِها أنَّ الكفارَ حينَ يعاينونَ العذابَ في الآخرةِ كأنَّهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعةً واحدةً منَ النهارِ، لِما يشاهدونَ من شدةِ العذابِ وهولِه، والقرآنُ الكريمُ فيهِ بلاغٌ وإنذارٌ، ولا يكونُ الهلاكُ والدَّمارُ إلا للكافرينَ الخارجينَ عن طاعةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ-.

من هداية الآيات:

١- عظمةُ قدرةِ اللهِ تعالى.

٢- الأنبياءُ - عليهم السلام - قدوةٌ للدعاةِ.

٣- الصبرُ من أفضلِ الأخلاقِ.

٤- ليسَ المؤمنُ بالطعّانِ ولا اللعّانِ ولا الفاحشِ ولا البذيءِ.

٥- متاعُ الدنيا قليلٌ.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) سورة فاطر: ٨.

بين يدي سورة محمد

التعريفُ بالسورةِ الكريمةِ:

هذه السورةُ الكريمةُ رقمُها في المصحف ٤٧، وعددُ آياتها ٣٨ نزلتْ بعدَ الهجرةِ وبعدَ سورةِ الحديدِ وتُسمَّى سورةَ القتالِ وهي مدنيةٌ وتُعْنى بالأحكامِ الشرعيةِ.

وتناولتِ السورةُ موضوعَ الجهادِ في سبيلِ اللهِ وما يتعلقُ بهِ من أحكامِ القتالِ والأسرى والغنائمِ.

١ - ابتدأتِ السورةُ الكريمةُ بتقريرِ إحباطِ أعمالِ الكافرينَ وإصلاحِ حالِ المؤمنينَ وتكفيرِ سيئاتِهم.

٢ - بينتِ السورةُ طريقَ العزَّةِ والنصرِ، ووضعتْ الشروطَ لنصرةِ اللهِ لعبادِه المؤمنينَ وذلكَ بالتمسكِ بشريعتِه ونصرةِ دينِه.

٣ - وضُربتْ لكفارِ مكةَ الأمثالَ بالطغاةِ الظلمةِ من الأممِ السابقةِ وكيفَ دمَّرَ اللهُ عليهم بسببِ إجرامِهم وطغيانِهم.

٤ - تحدَّثَتْ السورةُ بإسهابٍ عن المنافقينَ وصفاتِهم باعتبارِهم الخطرَ الأولَ على الإسلامِ والمسلمينَ.

٥ - خُتِمت السورةُ بالدعوةِ إلى الجهادِ كما بدأتْ كحافز لعزائمِ المؤمنينَ.

الدرس العاشر
الحياة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
الآيات (١-٦) من سورة محمد

قالَ تَعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ	أحبط أعمالهم
كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ	محا عنهم ذنوبهم
بَالَهُمْ	حالهم
ٱلْوَثَاقَ	الرباط

المعني الإجمالي:

سببُ النزولِ: **قولُه تعالى** ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ ﴾

قالَ ابنُ عباسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- نزلتْ هذه الآيةُ في المُطْعِمينَ ببدرٍ وهم اثنا عشَر رجلاً منهم

أبوجهلٍ والحارثُ بن هشامٍ وغيرُهم وهمُ الذينَ أطعموا الناسَ يومَ بدرٍ ليثبتوا على القتالِ ولا يفرّوا، أبطلَ اللهُ أعمالَهم بسببِ شركِهم وكفرِهم.

ثوابُ المؤمنينَ وعقابُ العاصينَ

اشتملتِ الآياتُ الكريمةُ على ذكرِ عقابِ العاصينَ وثوابِ المؤمنينَ، وابتدأَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- بذكرِ عقابِ الكافرينَ وسببِ استحقاقِهم لذلكَ العذابِ حتى يَعتبرَ الإنسانُ من مصيرِهم.

وُيخبرُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- عن رؤساءِ الكفرِ وأئمةِ الضلالِ الذينَ جمعوا بينَ الكفرِ باللهِ وآياتِه والصدِّ لأنفسِهم ولغيرِهم عن سبيلِ اللهِ، ورفضِهم الاستجابةَ للرسلِ عليهم الصلاة والسلام كفراً وعناداً وإصراراً منهم على الباطل، فكانتِ النتيجةُ أنْ أبطلَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- أعمالَهم وجعلَها ضائعةً لا ثوابَ لها وعذَّبَهم بسببِها، ومَنْ يُعْرضْ عنِ اللهِ وعنْ ذكرِه يعاقبُهُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- بالخسرانِ والهلاكِ، قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[1].

أما المؤمنونَ بما أنزلَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- على رسلِه عموماً وعلى محمدٍ -ﷺ- خصوصاً وقاموا بكلِّ ما عليهم من حقوقِ اللهِ تعالى وحقوقِ العبادِ، فجازاهم اللهُ -عزَّ وجلَّ- بالنجاةِ من عذابِ الدنيا والآخرةِ، وأصلحَ دينَهم ودنياهمْ، وسببُ ذلكَ الجزاءِ العظيمِ هوَ اتباعُهم الحقَّ الذي هو الصدقُ واليقينُ وما اشتملَ عليهِ القرآنُ المنزلُ منَ اللهِ -عزَّ وجلَّ-.

وأخبرَ اللهُ تعالى أنَّ ذلكَ الإضلالَ لأعمالِ الكفارِ بسببِ أنّهم سلكوا طريقَ الضلالِ وآثروا الباطلَ على الحقِّ، وأما المؤمنونَ فاختاروا طريقَ الهدى وتمسكوا بالحقِّ والإيمانِ المنزلِ منْ عندِ اللهِ تعالى.

وبيَّنَ اللهُ سبحانَه أهلَ الخيرِ وأهلَ الشرِّ وذكرَ لكلٍّ منهم صفةً من الصفاتِ تميّزُهم، ليهلكَ مَنْ هلكَ عَنْ بينةٍ ويحيا مَنْ حيَّ عن بينةٍ.

(١) سورة طه ١٢٤.

ثم بيَّنَ اللهُ تعالى أمرَ الفريقيْنِ (المؤمنينَ والكافرينَ) بأوضحِ بيانٍ ليعتبرَ الناسُ ويتعظوا، ثم يأمرُ اللهُ تعالى المؤمنينَ بجهادِ الكفارِ، أي فإذا أدركتُمُ الكفارَ في الحربِ فاضربوا الرقابَ والمرادُ اقتلوهم، وعبَّر بضربِ الرقابِ لأنّه الغالبُ في صفةِ القتلِ حتى إذا هزمتموهم وأكثرتُم فيهم القتلَ والجراحاتِ ولم تَبْقَ لهم قوةٌ للمقاومةِ فأْسِروهم وكفّوا عنْ قتلِهم، والوَثاقُ هو اسمٌ لما يُرْبطُ من حبلٍ وغيرِه ثم بعدَ ذلكَ أنتمْ **مُخيّرونَ بعدَ أسرِهم**:

أ – إمّا أن تمّنوا عليهم وتُطلقوا سراحَهم بلا مقابلٍ من مالٍ.

ب – وإمّا أن تأخذوا منهم مالاً فداءً لأنفسِهم ويكونُ هذا بعد كسرِكم شوكَتهم إلى أنْ تنقضيَ الحربُ وتنتهيَ بوضعِ آلاتِها وأثقالِها بينَ المسلمينَ والمعادينَ لهم وذلك بعزّةِ الإسلامِ واندحارِ المشركينَ.

ابتلاءُ المؤمنينَ:

وقولُه تعالى ﴿ذَٰلِكَ﴾ أيْ الحكمُ المذكورُ في ابتلاءِ المؤمنينَ بالكافرينَ ومداولةِ الأيامِ بينَهم وانتصارِ بعضِهم على بعضٍ، ولو أرادَ اللهُ لانتصرَ عليهم وأهلكَهم بقدرتِه دونَ أنَ يكلّفكم أيُّها المؤمنونَ بقتلِهم، ولكنَّه أمرَكم بجهادِهم ليختبرَ إيمانكم وثباتكم وتتبيّنَ بذلكَ أحوالُ العبادِ؛ الصادقُ من الكاذبِ، قالَ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[1]، فيصيرُ مَنْ قُتلَ من المؤمنينَ إلى الجنةِ ومَنْ قُتِلَ من الكافرينَ إلى النارِ.

ثوابُ المجاهدينَ:

بيَّنَ اللهُ –عزَّ وجلَّ– أنَّ الذينَ يقاتلونَ في سبيلِ اللهِ لهم ثوابٌ جزيلٌ وأجرٌ جميلٌ، فهؤلاءِ لنْ يُحبطَ اللهُ أعمالَهم بل يتقبلُها وينّميها لهم ويوفّقهم إلى كلِّ خيرٍ ويُصلحُ شأنَهم في الدنيا، أمَّا في الآخرةِ فيدخلُهم الجنةَ التي شَوَّقَهم إليها ووصَفَها لهم في كتابِه وعلى لسانِ رسولِه –ﷺ–.

(١) سورة محمد: ٣١.

من هداية الآيات:

١ – الجزاءُ من جنسِ العملِ.

٢ – أبطلَ اللهُ –عزَّ وجلَّ– أعمالَ الكفارِ بسببِ شركِهم باللهِ تعالى.

٣ – يضربُ اللهُ الأمثالَ للناسِ للعظةِ والعبرةِ.

٤ – وجوبُ الجهادِ على أمّةِ الإسلامِ وِفقَ شروطٍ محددةٍ.

٥ – بشرى لمَنْ يقاتلُ في سبيلِ اللهِ –عزَّ وجلَّ– بجنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ.

٦ – التعاسةُ والشقاءُ للكافرينَ في الدنيا والآخرةِ.

الدرس الحادي عشر
الجزاء من جنس العمل
الآيات (٧- ١١) من سورة محمد

قالَ تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
فَتَعْسًا لَّهُمْ	فهلاكاً لهم
عَٰقِبَةُ	نهاية
دَمَّرَ	أهْلكَ
لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ	لا ناصرَ لهم

المعنى الإجمالي:

إن تنصروا الله ينصركم:

نداءٌ منَ الله تعالى للمؤمنينَ: يا مَنْ آمنتمُ باللهِ تعالى حقَّ الإيمانِ، إنْ تنصروا دينَ اللهِ -عزَّ وجلَّ- وتتبعوا رسولَه في كلِّ ما أمرَكم به ونهاكم عنهُ ينصرْكمُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- على أعدائِكم، ويثبّتْ أقدامَكم عند قتالِكم إياهم، ويوفّقْكم بعد ذلكَ للثباتِ على دينِه، والشكرِ على نعمِه.

وأمَّا الذينَ كفروا بربّهم ونصروا الباطلَ فهلاكاً وشقاءً لهم، وهذا دعاءٌ عليهم بالتعاسةِ والخيبةِ والخذلانِ، وأبطلَ أعمالَهم وهذا التعسُ والإضلالُ بسببِ أنّهم كرهوا ما أنزلَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- من أحكامٍ وشرائعٍ فكانتْ نتيجةُ هذهِ الكراهيةِ أنْ أحبطَ اللهُ أعمالَهم الحسنةَ التي عملوها في الدنيا كالإطعامِ وصلةِ الأرحامِ وغيرِها.

النظر والاعتبار:

ثم يَلْفِتُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- نظرَ الكفارِ إلى ما حولَهم موبخاً ومخوفاً لهم من عاقبةِ الكفرِ، أفلا يسيرُ هؤلاءِ المكذبونَ المصرّونَ على الشركِ، فينظروا في عاقبةِ المكذبينَ من الأممِ السابقةِ، كمثلِ عادٍ وثمودَ وقومِ لوطٍ حيثُ أهلَكهم اللهُ تعالى.

وهذهِ العاقبةُ الأليمةُ في انتظارِ كفارِ أهلِ مكةَ إنْ لمْ يرجعوا من شركِهم وعنادِهم، فاعتبروا ممَّا حدثَ وتوبوا إلى اللهِ تعالى.

اللهُ ناصرُ المؤمنينَ:

أذلَّ اللهُ تعالى الكافرينَ بسببِ كفرِهم وضلالِهم، وبيَّنَ أنه نصيرُ المؤمنينَ إنْ تَمَسكوا بشرعِه وآمنوا به وخافوه وعملوا بأوامرِه وانتَهوا عن نواهِيه، ويؤيدُهم وينصرُهم ويدافعُ عنهم، قالَ تَعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]، وقالَ النبيُّ -ﷺ- لابنِ عباسٍ رضي الله عنهما «يا غلامُ إني أعلِّمُك كلماتٍ احفظِ اللهَ يحفظْكَ احفظِ اللهَ تجدْه تجاهَك إذا سألتَ فاسألِ اللهَ وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ واعلمْ أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعتْ على أنْ ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لك ولو اجتمعوا على أنْ يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ عليكَ رُفعتْ الأقلامُ وجَفَّتْ الصحفُ»[2].

(١) سورة الحج: ٣٨.
(٢) رواه الترمذي.

وأمَّا الكافرونَ فلا مولى لهم لأنَّهم أطاعوا الشيطانَ فهو دليلُهم في الدنيا وإمامُهم إلى جهنَّمَ.

من هداية الآيات:

١ – وعدَ اللهُ –عزَّ وجلَّ– المؤمنينَ الطائعينَ بالنصرِ والحمايةِ.
٢ – كراهيةُ حكمِ اللهِ تعالى محبطٌ للأعمالِ الصالحةِ.
٣ – الاعتبارُ بمصيرِ الأممِ السابقةِ.
٤ – خسارةُ الكفارِ نتيجةٌ حتميّةٌ لموالاةِ الشيطانِ وسوءِ الأعمالِ.

الدرس الثاني عشر
جزاء المؤمنين وعاقبة الكافرين
الآيات (١٢ - ١٥) من سورة محمد

قالَ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ١٢ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ١٣ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٤ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَثْوًى	مصير
بَيِّنَةٍ	حجة وبصيرة
ءَاسِنٍ	متغير الرائحة
عَسَلٍ مُّصَفًّى	لم يخالطه الشمع وفضلات النحل

المعنى الإجمالي:

نعيم أهل الجنة:

لمَّا ذكرَ اللهُ تعالى أنَّه وليُّ المؤمنينَ وأنَّه ناصرُهم ومؤيدُهم، ذَكَرَ ما يفعلُ بهم في الآخرةِ

وذَكَر جزاءَهمْ وهوَ دخولُ الجنّاتِ وما فيها من البساتينِ الزاهرةِ والأشجارِ الناضرةِ المثمرةِ، تجري من تحتِ قصورِها وأشجارِها الأنهارُ وغيرُ ذلكَ ممَّا لا عينَ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ.

عذاب أهل النار:

أمَّا الكافرونَ فهم في الدنيا ينتفعونَ بشهواتِها ولذائذِها، ويأكلونَ كما تأكلُ البهائمُ ليسَ لهم إلَّا التمتعُ بهذهِ الدنيا وهم لا يلتفتونَ إلى الآخرةِ، ونتيجةً لأعمالِهم السيئةِ كانت النارُ منزلاً معدّاً لهم لا يخرجونَ منها ولا يفتُرُ عنهم من عذابِها، وهذا وعيدٌ شديدٌ للكافرينَ.

تسلية النبي -ﷺ-:

ثم يرفعُ اللهُ تعالى الهمَّ عن النبيّ -ﷺ- قالَ تَعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾[1]، أي وكَمْ من أهلِ قريةٍ ظالمةٍ كانوا أقوى من أهلِ مكةَ الذينَ أخرجوكَ منها فكانتِ النتيجةُ لذلكَ أنْ أهلكَهم اللهُ -عزَّ وجلَّ- بأنواعِ العذابِ، فلم ينصرْهمْ أحدٌ فكذلكَ نفعلُ بهؤلاءِ، عن ابنِ عباسٍ -رضي الله عنه- أنّ النبيّ -ﷺ- لمَّا خرجَ من مكةَ إلى الغارِ التفتَ إلى مكةَ وقال: «أنتِ أحبُّ بلادِ اللهِ إلى اللهِ وأنتِ أحبُّ بلادِ اللهِ إليَّ ولولا أنَّ أهلَكِ أخرجوني لمْ أخرجْ منكِ»[2].

اتباعُ الأهواء:

ثُمَّ تأتي المقارنةُ والتوصلُ إلى الحكمِ من خلالِ مقارنةٍ بينَ شخصينِ ومثالينِ، قالَ تَعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾[3]، أَيْ هلْ مَنْ كانَ على

(١) سورة محمد: ١٣.
(٢) حديث صحيح رواه الترمذي.
(٣) سورة محمد: ١٤.

حجةٍ وبصيرةٍ وثباتٍ ويقينٍ باللهِ، كمَنْ حسَّنَ له الشيطانُ عملَه السيء واتَّبع هواهُ في عملِ المعاصي وعبادةِ غيرِ اللهِ تعالى هل يستويانِ؟ لا، قالَ تَعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾[1].

أنهار الجنة:

الجنَّةُ التي أعدَّها اللهُ تعالى لعبادِه المتقينَ فيها أنهارٌ عظيمةٌ ومتنوعةٌ هي:

١ - أنهارٌ عظيمةٌ من ماءٍ غيرِ متغيرِ الطعمِ والرائحةِ.

٢ - أنهارٌ من لبنٍ لم يتغيرْ طعمُه.

٣ - أنهارٌ من خمرٍ يتلذّذُ بها الشاربونَ فهيَ لذيذةُ الطعمِ والرائحةِ وقيَّدَها بلذّةٍ للشاربينَ، لأنَّ خمرَ الدنيا كريهةَ الطعمِ والرائحةِ وأمّا خمرُ الآخرةِ فهيَ لذيذةُ الطعمِ طيبةُ الرائحةِ.

٤ - أنهارٌ من عسلٍ مصفّى لَمْ تخالطْهُ الشوائبُ.

ولهمْ في الجنةِ أنواعٌ متعددةٌ من الثمارِ والفاكهةِ.

وإلى جانب هذا النعيمِ الجسديّ نعيمٌ آخرُ نفسي وهو المغفرةُ والرضوانُ منَ اللهِ تعالى كمَا وردَ في الحديثِ القدسيّ «أُحلّ عليكم رضواني فلا أسخطُ عليكم بعدَه أبداً»[2].

فهلْ مثلُ هذا الشخصِ المنّعم بالجنةِ كمثلِ مَنْ هوَ خالدٌ باقٍ في نارٍ قد اشتدَّ حرُّها، ومن شدةِ عطشِهم يطلبونَ الماءَ فيُغاثونَ بماءٍ حارٍ يقطّعُ أحشاءَهمْ.

فيا حسرةً على مَنْ ضيَّعَ النعيمَ الدائمَ بمعصيةٍ أورثتِ الحسرةَ والندامةَ والنارَ المستعرةَ.

من هداية الآيات:

١ - نعيمُ الجنةِ لا يخطرُ على قلبِ بشرٍ.

٢ - أسلوبُ الترغيبِ والترهيبِ منْ أعظمِ الأساليبِ في التربيةِ.

٣ - تسليةُ الرسولِ -ﷺ- تخفيفاً منْ آلامِه التي يلاقيها منْ إعراضِ المشركينَ.

٤ - شوَّقَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- عبادهُ إلى الجنةِ ونعيمِها حتى يعملوا لها.

---

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) رواه البخاري.

الدرس الثالث عشر
حال المنافقين وخطرهم على الأمة
الآيات (١٦ - ١٩) من سورة محمد

قالَ تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
ءَانِفًا	قريباً
بَغْتَةً	فجأة
مُتَقَلَّبَكُمْ	تصرفاتكم
وَمَثْوَىٰكُمْ	مصيركم

المعنى الإجمالي:

عمى البصيرة:

يبيّنُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- حالَ المنافقينَ في مجلسِ الرسولِ -ﷺ- فيظهرُ بلادتَهم وسوءَ فهمِهِمْ حيثُ كانوا يجلسونَ إلى رسولِ الله -ﷺ- ويستمعونَ كلامَه فلا يفهمونَ منه شيئاً، فإذا خرجوا مِنْ عندِه قالوا لأهلِ العلمِ من الصحابةِ: ماذا قالَ محمدٌ الساعةَ؟ وهم لا يَعْقلونَ

ما قالَه -ﷺ- لأنّهم غيرُ مبالينَ لسماعِ ما فيهِ صلاحُهم وفلاحُهم في الدنيا والآخرةِ، فكانَ جزاؤُهم بأنَّ اللهَ ختمَ على قلوبِهم بالكفرِ وساروا وراءَ أهوائِهم الباطلةِ.

ثواب التقوى:

وأما المؤمنونَ المتقونَ فقدْ زادَهم اللهُ هدىً وألهمَهمْ وأرشدَهمْ ووفَّقَهمْ للخيرِ فذكَرَ للمهتدينَ جزاءَيْنِ: العلمَ النافعَ والعملَ الصالحَ.

بعثة النبي -ﷺ- من أشراط الساعة:

فماذا ينتظرُ المنافقونَ إلا قيامَ الساعةِ فجأةً وهم غافلونَ فقدْ جاءتْ أماراتُها أَيْ علاماتُ اقترابِها ومنها بعثةُ محمدٍ -ﷺ-: عن سهلِ بن سعدٍ -رضي الله عنه- قالَ:قالَ رأيتُ رسولَ اللهِ -ﷺ-، قالَ بأصبعَيْهِ هكذا، بالوسْطَى والتي تلي الإبهامَ «بُعْثتُ أنا والساعةُ كهاتينِ»[1]، فإذا جاءتِ الساعةُ حيثُ لا ينفعُ ندمٌ ولا توبةٌ فقد فاتَ وقتُ التذكّرِ، وفي هذا حثٌّ على الاستعدادِ قبلَ مفاجأةِ الموتِ، فإنَّ موتَ الإنسانِ يعني قيامَ ساعتِه.

العلم قبل العمل:

ثمَّ بعدَ ذلكَ يخبرُ الله -عزَّ وجلَّ- بأنّه (لا إله إلا هو) أي لا معبودَ بحقٍّ سواهُ، وفي هذا أمرٌ للنبيّ -ﷺ- بالثباتِ على التوحيدِ، وهذا العلمُ الذي أمرَ اللهُ بهِ فرضُ عينٍ على كلِّ إنسانٍ.
وأمرَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- النبي -ﷺ- أيضاً أن يطلبَ المغفرةَ لذنبِه ويفعلَ أسبابَها وهي:

١ - التوبةُ.

٢ - الأعمالُ الصالحةُ.

٣ - الدعاءُ وطلبُ المغفرةِ للمؤمنينَ والمؤمناتِ، وفي الأثرِ المرويّ قال إبليسُ:«وعزَّتكَ وجلالِكَ لا أزالُ أَغْويهم ما دامتْ أرواحُهم في أجسادِهم» فقال اللهُ -عزَّ وجلَّ-:«وعزّتي

(١) رواه البخاري.

وجلالي لا أزالُ أغفرُ لهم ما استغفروني»[1].

وختمَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- الآيةَ بأنَّه يعلمُ تصرُّفَكم في الدنيا، ومصيرَكم في الآخرةِ، فاعملوا ليومِ المعادِ.

فائدة:

آدابُ حضورِ مجالسِ العلم:

١ - الحضورُ مبكراً.

٢ - الإنصاتُ لأنَّ الإنصاتَ طريقُ الفهمِ والإدراكِ.

٣ - سؤالُ المعلمِ عمَّا أشكلَ (ضياعُ العلمِ بينَ الحياءِ والكبرِ).

٤ - عدمُ رفعِ الصوتِ والانشغالِ بما لا يفيدُ في مجلسِ العلمِ.

٥ - استشعارُ الأجرِ والثوابِ في تعلمِ العلمِ.

من هداية الآيات:

١ - بيانُ حالِ المنافقينَ في مجلسِ رسولِ اللهِ -ﷺ-.

٢ - مَنْ يطلبِ الهُدى يوفقْه اللهُ تعالى.

٣ - للساعةِ علاماتٌ دالةٌ على قربِها.

٤ - معنى (لا إله إلا الله) أيْ لا معبودَ بحقٍّ إلا اللهُ.

٥ - وجوبُ الاستعدادِ ليومِ القيامةِ بالأعمالِ الصالحةِ.

(١) رواه الحاكمُ.

الدرس الرابع عشر
تدبر القرآن الكريم
الآيات (٢٠- ٢٤) من سورة محمد

قالَ تَعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مُّحۡكَمَةٞ	واضحة
عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ	فرض القتال
يَتَدَبَّرُونَ	يتأملون

المعنى الإجمالي:

المنافقُ لا يفهمُ ولا يريدُ العملَ

يخبرُ اللهُ تعالى في هذهِ الآياتِ عن الذينَ آمنوا، من أصحابِ رسولِ اللهِ -ﷺ-، أنَّهم كانوا يتمنّونَ الجهادَ ويستعجلونَه، ويقولونَ: هلَّا أنزلَ اللهُ سورةً قرآنيةً تأمرُ بالجهادِ؟!

فلمَّا نزلتْ سورةٌ واضحةٌ -ليسَ فيها نسخٌ- ويلزمُ العملُ بما جاءَ فيها منْ أمرٍ بالجهادِ والترغيبِ فيهِ، رأيتَ يا محمدُ -ﷺ- الذينَ في قلوبِهم مرضُ الشكّ والنفاقِ، ينظرونَ إليكَ كنظرِ المُغْمى عليهِ من الموتِ، لكراهتِهم لذلكَ وشدتِهِ عليهمْ، رَغْمَ أنَّهم كانوا يتمنّونَه استعجالاً للأمرِ فقط منْ دونِ استجابةٍ، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[1].

ولذا قالَ سبحانَه﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ أَيْ كانَ الأجدرَ بهم أَنْ يطيعوا ويستجيبوا للأمرِ بدلاً منْ أنْ يستعجلوهُ، فإذا حضرَ القتالُ وأخلصوا النيةَ في طاعةِ اللهِ لكانَ أفضلَ منْ حالِهم بعدمِ الاستجابةِ، لأنَّ المتولّي عن طاعةِ ربّهِ، لا يتولّى إلى خيرٍ، بل إلى شرٍ.

ففي الآيةِ طريقانِ: إمّا التزامٌ لطاعةِ اللهِ، وامتثالٌ لأوامرِه، فَثَمَّ الخيرُ والرشدُ والفلاحُ، وإمَّا الإعراضُ والتولّي عن طاعةِ اللهِ تعالى، والإفسادُ في الأرضِ، وارتكابُ المعاصي، وقطيعةُ الأرحامِ فَثَمَّ الشرُّ والخسرانُ.

وقد حَمَلتْ هذهِ الآياتُ نهياً عن الإفسادِ في الأرضِ عموماً، وعَنْ قطعِ الأرحامِ خصوصاً، بلْ أمرَ اللهُ تعالى بالإصلاحِ في الأرضِ وصلةِ الأرحامِ، وهوَ الإحسانُ إلى الأقاربِ في المقالِ والفعالِ وبذلِ الأموالِ، فقد قالَ تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾[2]، وعن ثوبانَ -رضي الله عنه-، عنْ رسولِ اللهِ -ﷺ- قال: «مَنْ أحبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِهِ ويُنْسأَ لهُ في أثرِه فليصلْ رحمَهُ»[3].

جزاءُ المفسدينَ في الأرضِ

وأولئكَ الذينَ أفسدوا في الأرضِ، وقطعوا أرحامَهمْ، لعنَهمُ اللهُ بأَنْ أبعدَهمْ عن رحمتِهِ، فصمَّ آذانَهمْ وأعمى أبصارَهُم عنْ كلّ ما ينفعُهم من الآياتِ والعبرِ.

(١) سورة النساء: ٧٧.
(٢) سورة الروم: ٣٨.
(٣) رواه الشيخان.

تدبر القرآن يفتح القلوب لطاعة الله

أفلا يتفكرُ ويتفهّمُ هؤلاءِ المعرضونَ هذا القرآنَ العظيمَ، ويتأملونَه حقَّ التأملِ، ليعرفوا الحقَّ منَ الباطلِ، ولو أنَّهم تدبرُوهُ لدلَّهم على كلِّ خيرٍ، ولحذَّرهم منْ كلِّ شرٍّ، ولملأَ قلوبَهم منَ الإيمانِ، ولبيّنَ لهمُ الطَريقَ الموصلةَ إلى اللهِ، وإلى جنّتِه.

لكنّهم أعرضوا فأقفلَ الله على قلوبِهم، فلا يعقلونَ ما أنزلَ اللهُ في كتابِه منَ المواعظِ والعِبَرِ والحُجَجَ والبراهينِ.

من هداية الآيات:

١ – الاستجابةُ للأوامرِ الشرعيةِ وطاعتِها أفضلُ من استعجالِها.

٢ – ذمَّ اللهُ –عزَّ وجلَّ– المنافقينَ الذينَ أعرضوا عن آياتِه وأحكامِه.

٣ – إذا لمْ يستجبِ الإنسانُ إلى الخيرِ تولَّى إلى الشرِّ.

٤ – النهيُ عن الإفسادِ في الأرضِ وقطيعةِ الأرحامِ.

٥ – فضلُ تدبرِّ القرآنِ الكريمِ والعملِ بما فيهِ.

الدرس الخامس عشر
فضيحة المنافقين
الآيات (٢٥- ٢٩) من سورة محمد

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
ٱرۡتَدُّواْ	رجعوا إلى الكفر
سَوَّلَ لَهُمۡ	زيّن لهم
فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ	أبطلها

المعنى الإجمالي:

موالاة الكفار:

يخبرُ اللهُ تعالى في الآياتِ السابقةِ عنِ المنافقينَ الذينَ رجعوا إلى الكفرِ كما كانوا، منْ بعدِ ما عرفوا الهُدَى، وما جاءَ به النبيُّ -ﷺ- من المعجزاتِ الظاهرةِ، والدلائلِ الواضحةِ، وهمْ كما قالَ تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ

لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾[1]، ثم بيَّنَ اللهُ تعالى بأنَّ سَبَب ارتدادِهم الحقيقيّ وبعدِهم عن الحقِّ، هو الشيطانُ الذي زيّنَ لهم ذلكَ الارتدادَ، واعداً لهمْ بطولِ العمرِ والعيشِ السعيدِ في الحياةِ الدنيا.

وهؤلاءِ المنافقونَ قالوا للمشركينَ واليهودِ -الذينَ كرهوا ما نزّلَ اللهُ-: سنطيعُكمْ في بعضِ الأمرِ الذي هو خلافٌ لأمرِ اللهِ وأمرِ رسولِه، كعدمِ القتالِ وتحبيطِ المسلمينَ عنهُ، واللهُ تعالى يعلمُ ما يخفيه هؤلاءِ المنافقونَ ويسرّونَه في أنفسِهم، وما تآمروا به مع أعداءِ اللهِ تعالى، فهو كما قالَ تَعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[2]، واللهُ تعالى أطلعَ رسولَه -ﷺ- والمؤمنينَ على سرّهم، وهذا يعتبرُ من إعجازِ القرآنِ الكريمِ، وهو الإخبارُ بأمرٍ غيبيٍّ، فليحذرِ المسلمُ من مخالفةِ أمرِ اللهِ ورسولِه -ﷺ-.

حال المنافقين عند الموت:

وهذا مشهدٌ من مشاهدِ ذلّ المنافقينَ عندَ احتضارِهم حيثُ إن ملائكةَ الموتِ يَضْربونَ عندَ قبضِ أرواحِهم وجوهَ هؤلاءِ المنافقينَ وأدبارَهم أيْ ظهورَهم، ضرباً أليماً موجعاً بمقامعَ من حديدٍ.

ذلكَ العذابُ الذي استحقُّوه ونالوه؛ بسببِ أنَّهم اتبعوا ما أغضبَ اللهَ عليهمْ من طاعةِ الشيطانِ، وكرهوا ما يرضَاه اللهُ تعالى من الإيمانِ والتوحيدِ والجهادِ، فأبطلَ اللهُ ثوابَ أعمالِهم من صدقةٍ وصلةِ رحمٍ وغيرِ ذلكَ.

فهل ظنَّ المنافقونَ أنَّ اللهَ لَن يفضحَ ما في قلوبهم من الحسدِ والحقدِ للإسلامِ؟ بلى، فإنَّ اللهَ يميّزُ الصادقَ من الكاذبِ. عن عبداللهِ بن عمرٍو -رضي الله عنه- قال: قال رسول -ﷺ-: «أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَنْ كانتْ فيه خصلةٌ منهنّ كانتْ فيه خصلةٌ من النفاقِ حتى يدعَها: إذا اؤتمنَ خانَ، وإذا حدّثَ كذبَ، وإذا عاهدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فجرَ»[3].

(١) سورة النساء: ١٤٣.
(٢) سورة غافر: ١٩.
(٣) رواه البخاري.

من هداية الآيات:

١ – الشيطانُ يزيّنُ للمنافقِ عملَه.

٢ – التحذيرُ من موالاةِ أعداءِ اللهِ تعالى.

٣ – توعّدُ اللهِ المنافقينَ بالعذابِ الأليمِ.

الدرس السادس عشر
الابتلاء من سنن الله في الكون
الآيات (٣٠- ٣٢) من سورة محمد

قالَ تَعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
لَحْنِ ٱلْقَوْلِ	ما يفهم من الكلام دون التصريح به.
وَشَآقُّوا۟	خالفوا.
وَسَيُحْبِطُ	وسيبطل.

المعنى الإجمالي

اللسانُ تبيانٌ لما في القلوب:

مازالَ السياقُ الكريمُ في المنافقينَ بكشفِهم وإزاحةِ الستارِ عمَّا في قلوبِهم من الشكِّ والنفاقِ، فقالَ تَعالى لرسولِه -ﷺ- ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾ أي لأعلمْناكَ وعرّفْنَاك بأعيانِهم وبعلاماتِ النفاقِ فيهم، معرفةً تقومُ مقامَ الرؤيةِ، فلعرفْتَهم بعلاماتٍ ظاهرةٍ فيهم، ولتعرفنَّهم في لحنِ القولِ فيما يبدو من كلامِهم الدالِّ على مقاصدِهم، والذي

يظهرُ ما في قلوبِهم، ويتبيّنُ بفلتاتِ ألسنتِهم، وذلكَ إذا تكلموا عندَك وبين يديكَ، فإنَّ كلامَهم لا يخلو من التعريضِ بالمؤمنينَ بانتقاصِهم والقدحِ في أعمالِهم، وكما قالَ رسولُ الله -ﷺ-: «ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلا كساه اللهُ جلبابَها إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شراً فشرّ»[1]، وقالَ عثمانُ بنُ عفانَ-رضي الله عنه-: «ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلا أبداها اللهُ على صفحاتِ وجهِهِ وفلتاتِ لسانِه»، فإن الألسنَ مغارفُ القلوبِ يظهرُ فيها ما في القلوبِ من الخيرِ أو الشرِّ.

ثم وجّهَ اللهُ تعالى خطابَه للمؤمنينَ، ليصبروا على الإيمانِ والتقوى، وأنّه تعالى لا تخفى عليهِ أعمالُ مَنْ أطاعَه ولا أعمالُ مَنْ عصاهُ، وسيُجازي كلَّ إنسانٍ بما قدَّمَ.

البلاء يظهر الصابرين:

ثم ذكر الله -عزَّ وجلَّ- أعظم امتحان يمتحن به عباده، وهو الجهاد في سبيله، وذلك بقوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي نختبرُكم بالأمرِ بالجهادِ والإنفاقِ والتكاليفِ الشرعيةِ، ونرى إيمانكم وصبرَكم، فمَنِ امتثلَ أمرَ اللهِ وجاهدَ في سبيلِه بنصرةِ دينِه وإعلاءِ كلمتِه فهو المؤمنُ الحقُّ، ومَنْ تكاسلَ عن ذلكَ كانَ نقصاً في إيمانِه.

قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[2]، وقوله تعالى ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ أَيْ ونُظهرُ أخبارَكم حتَّى يتميز منها الحسن من القبيح.

الله تعالى لا تضره معصية الناس:

ثم وجَّهَ اللهُ تعالى الخطابَ للذينَ كفروا من كفارِ قريشٍ واليهودِ والمنافقينَ، الذين جحدوا أنَّ اللهَ هو الإلهُ الحقُّ، وصدُّوا الناسَ عن الإسلامِ، وحاربوا الرسولَ الله -ﷺ- مِنْ بعدِ ما جاءتْهم الحججُ والآياتُ، فهؤلاءِ لن يضرُّوا اللهَ شيئًا، وسيُبْطِل ثوابَ أعمالِهم التي عملوها في الدنيا، وسيجازيْهم عليَها في الآخرةِ، قالَ تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ

(١) رواه أحمد.
(٢) سورة النساء: ١٤٢.

﴿ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾[1]، وقد احتوتْ هذهِ الآيةُ على وعيدٍ شديدٍ لمَنْ جمعَ أنواعَ الشرِّ كلَّها، من الكفرِ باللهِ ومخالفةِ الرسولِ -ﷺ-، وصدّ الخلقِ عن سبيلِ اللهِ تعالى.

من هداية الآيات:

١ - المنافقُ يظهرُ الإسلامَ ويبطنُ الكفرَ.

٢ - الابتلاءُ من سننِ اللهِ في الكونِ.

٣ - الشركُ محبطٌ للأعمالِ الصالحةِ.

(١) سورة إبراهيم: ١٨.

الدرس السابع عشر
أثر الجهاد في حياة الأمة
الآيات (٣٣- ٣٨) من سورة محمد

قالَ تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُمۡ ﴿٣٨﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
تَهِنُوا۟	تضعفوا
يَتِرَكُمۡ	ينقصكم
أَضۡغَٰنَكُمۡ	أحقادكم

المعنى الإجمالي:

الحذرُ من بطلانِ العملِ:

بعدما ذكرَ اللهُ تعالى المنافقينَ والكفارَ ومشاقّتهم للرسولِ -ﷺ-، نادى المؤمنينَ وهم الذينَ آمنوا باللهِ رباً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ -ﷺ- نبياً ورسولاً، وأمرَهم بطاعتِهِ وطاعةِ

رسولِه -ﷺ-، قالَ تَعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1].

وينهاهمْ أَنْ يبطلوا أعمالَهم بالشركِ والرياءِ والمعاصي، والنهيُ في هذهِ الآيةِ يشملُ أمرين:

١ - النهيُ عن إبطالِها بعدَ عملِها بما يفسدُها من منٍّ وإعجاب، ومِنْ عملٍ بالمعاصي التي تَذْهَب معها الأعمالُ.

٢ - النهيُ عن إفسادِها حالَ وقوعِها بقطعِها، أو الإتيانِ بمفسدٍ من مفسداتِها.

ثم أخبَرَ اللهُ تعالى المؤمنينَ فقالَ إنَّ الذينَ كفروا باللهِ ورسولِه، وصدُّوا عن سبيلِ اللهِ، وماتوا وهم كفارٌ، فهؤلاءِ لن يغفرَ اللهُ لهمْ لا بشفاعةٍ ولا بغيرِها، ومأواهمْ النارُ خالدينَ فيها.

اللهُ نصيرُ المؤمنين:

ثم يقوّي اللهُ تعالى عزائمَ المؤمنينَ بحثّهم على الجهادِ وقتالِ أعدائِهم الكافرينَ، ويحذّرُهم من الضعفِ أمامَ الأعداءِ بدعوتِهم إلى الصلحِ والمهادنةِ وهمْ أقوياءَ قادرونَ على قتالِهم، لأنّ المؤمنينَ همْ الأعلونَ الغالبونَ، واللهُ -عزَّ وجلَّ- معهمْ بالعونِ والنصرِ ولنْ ينقصَهم أجرٌ أعمالِهم بلْ يجزيْهم بها ويزيدُهم من فضلِه.

وقد وردتْ في هذهِ الآيةِ ثلاثةُ أمورٍ:

١ - تبشيرٌ للمؤمنينَ بالنصرِ.

٢ - وتثبيتٌ لهم أثناءَ القتالِ.

٣ - وحضٌّ على مجاهدةِ المشركينَ.

ما عندَ اللهِ خيرٌ وأبقى:

ثمّ يخبرُ اللهُ تعالى عبادَه المؤمنينَ عن حقيقةِ أمرِ الدنيا، إنْ أقبلَ عليها العبدُ ناسياً الدارَ الآخرةِ، لن تكونَ في حقّه إلا لهواً ولعباً، حتى يستكملَ دنياهُ ويحضرَ أجلُه وسيتبينُ له خسرانُه

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

وحرمانُه وحضورُ عذابِه.

وإنْ تؤمنوا باللهِ ورسولِه، وتتقوا اللهَ بأداءِ فرائضِه واجتنابِ معاصيْه، يؤْتِكمْ ثوابَ أعمالِكمْ، ولا يسأَلْكمْ إخراجَ أموالِكمْ جميعِها في الزكاةِ، بل يسألُكمْ إخراجَ بعضِها، لأنّهُ لو سألَكم جميعَ أموالِكم تبخلون بها، ويظهرُ ما في قلوبِكم من الحقدِ، لأنّ الله تعالى يعلمُ حبَّ النفسِ للمالِ.

عاقبة البخل:

وتوجّهُ الآياتُ المؤمنينَ إلى النفقةِ في جهادِ أعداءِ اللهِ ونصرةِ دينِه، فمنكم مَن يَبْخَلُ بالنفقةِ في سبيلِ اللهِ، ومَن يَبْخَلْ فإنما يبخلُ عن نفسِه بمنعِ حصولِها الأجرَ والثوابَ واللهُ تعالى هو الغنيُّ وهو اسمٌ من أسماءِ اللهِ ويعني (المُسْتغني عن الخلقِ بذاتِه وصفاتِه وسلطانِه)، وإنْ تتولَّوا عنِ الإيمانِ باللهِ وامتثالِ أمرِه يأتِ بقومٍ آخرينَ، ثم لا يكونوا أمثالَكم في التولّي عن أمرِ اللهِ، بل يطيعونَه ويطيعونَ رسولَه، ويجاهدونَ في سبيلِه بأموالِهم وأنفسِهم، كما قالَ تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾[1].

من هداية الآيات:

١ - وجوبُ طاعةِ اللهِ وطاعةِ رسولِه -ﷺ-.

٢ - المؤمنُ يشعرُ بالقوةِ والعزةِ.

٣ - بطلانَ العملِ الصالحِ بالرياءِ أو الردةِ.

٤ - الدعوةُ إلى الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ والتحذيرُ من البخلِ.

(١) سورة المائدة: ٥٤.

بين يدي سورة الفتح

التعريفُ بالسورةِ الكريمةِ:

هذهِ السورةُ رقمُها في المصحفِ الشريفِ ٤٨، وعددُ آياتِها ٢٩، نزلتْ بعدَ سورةِ الجمعةِ وقيلَ بعدَ محمدٍ، وهي مدنيةٌ نزلتْ في السنةِ السادسةِ بعدَ رجوعِ المسلمينَ من صلحِ الحديبيةِ.

وسببُ نزولِ هذهِ السورةِ ما ذُكرَ من تأثرِ الصحابةِ – رضي الله عنهم – عامَ الحديبيةِ بعدَ أنْ صدَّهمْ المشركونَ عن أداءِ العمرةِ، فذهبَ عمرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– إلى الرسولِ –ﷺ– وقالَ: ألسنا على الحقِّ وهمْ على الباطلِ أليسَ قتلانا في الجنةِ وقتلاهم في النارِ قالَ الرسولُ –ﷺ–: «بلى»، قالَ فلِمَ نُعْطي الدنّيةَ في دينِنا ونرجعُ ولمَّا يحكمِ اللهُ بينَنا قال:«إنّي رسولُ اللهِ ولن يضيَّعني اللهُ أبداً».

اشتملت السورة على ما يلي:

١ – تحدثَّتْ السورةُ في بدايتِها عن فتحِ مكةَ الأعظمِ وأثرِه على الدعوةِ.
٢ – أظهرتْ مكانةُ الرسولِ –ﷺ– العاليةَ ورتبتَه الساميةَ عندَ اللهِ تعالى.
٣ – فضحُ المنافقينَ، وبيانُ خطرِهمْ على الأمةِ.
٤ – بيانُ سماحةِ الشريعةِ الإسلاميةِ ومظاهرِ يسرِها.
٥ – بيانُ قدرِ الصحابةِ – رضي الله عنهم – ومدى استجابتِهم للهِ ورسولِه –ﷺ–.
٦ – ختمتِ السورةُ بالحديثِ عن رؤيا الأنبياءِ، وأنّها حقٌ وقد صدقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بدخولِ المسجدِ الحرامِ.

الدرس الثامن عشر
فتح مكة الأعظم
الآيات (١ - ٤) من سورة الفتح

قالَ تَعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مُّبِينًا	ظاهراً
صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا	طريقاً قويماً
عَزِيزًا	قوياً

المعنى الإجمالي

آثار فتح مكة:

يبشرُ اللهُ -تعالى- رسولَه -ﷺ- بالفتحِ المبينِ والنصرِ العظيمِ، الذي تحققَ بدخولِ المسلمينَ مكةَ بلا قتالٍ، وقدْ كانَ ذلكَ في السنةِ الثامنةِ من الهجرةِ، وقد عبَّرَ القرآنُ الكريمُ بصيغةِ الماضي مَعَ أنَّ الأمرَ لم يقعْ بعدُ إشارةً إلى تحققِ وقوعِه.

وأشارتِ الآيةُ إلى أثرِ هذا الفتحِ سواءً قُصِدَ به فتحُ مكةَ أو صلحُ الحديبيةِ الذي كانَ في السنةِ السادسةِ من الهجرةِ، فقدْ كانَ كلاهما إيذاناً بميلادِ فجرٍ جديدٍ من عزةِ الإسلامِ وقوتِه،

إذْ دخلَ الناسُ بعدَهُ في دينِ الله أفواجاً، ثم يبينُ اللهُ -تعالى- فضلَه على رسولِه -ﷺ- حيثُ غفرَ اللهُ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخرَ، ورغمَ أنَّ الرسولَ -ﷺ- معصومٌ من الذنوبِ، إلّا أنَّ المغفرةَ في حقِّه -ﷺ- تعني كما أخبرَ أهلُ العلمِ رفعُ الدرجاتِ ومضاعفةُ الحسناتِ، وقد أتمَّ اللهُ نعمتَه على رسولِه -ﷺ- بإعلاءِ دينِه وظهورِه على كلِّ الأديانِ، وتثبيتِه على هذا الدينِ حتى يقبضَه عليهِ، ويمتنُّ اللهَ -تعالى- على المؤمنينَ بإنزالِ الطمأنينةِ في قلوبِهم ليزدادوا تصديقاً مع تصديقِهم، وهذا ما دفعهَم إلى مبايعةِ الرسولِ -ﷺ- على محاربةِ أهلِ مكةَ بعدَما حصلَ لهمْ ما أزعجَ نفوسَهم وروَّعَ قلوبَهم وذلكَ بسببِ صدِّ الكفارِ لهمْ عن دخولِ مكةَ وكانوا يعتبرونَ هذا الدخولَ فتحاً مبيناً ونصراً غالياً لا ذلَّ فيهِ.

وبقوله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ تبشيرٌ من اللهِ تعالى بالنصرِ القويِّ.

الإيمان يزيد وينقص:

وفي الآيةِ دليلٌ على أنَّ الإيمانَ يزيدُ وينقصُ، يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ، يقولُ الرسولُ -ﷺ-:«الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ أو بضعٌ وستونَ شعبةً أعلاها قولُ لا إله إلا الله وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ»(١)، وقد ضربَ الصحابةُ -رضي الله عنهم- في هذا الجانبِ أروعَ الأمثلةِ، ففي غزوةِ بدرٍ سمعَ عميرُ بنُ الحمامِ الأنصاريُّ النبيَّ -ﷺ- يقولُ لأصحابِه:«والذي نفسي بيده ما مِنْ رجلٍ يقاتلُ اليومَ المشركينَ فيقتلُ صابراً محتسباً مقبلاً غيرَ مدبرٍ إلا أدخلَه اللهُ الجنةَ، فقالَ عميرٌ: بخٍ بخٍ - كلمةُ تعجبٍ - ثم قالَ: أليسَ بيني وبينَ الجنةِ إلّا أن أتقدَم فأقاتلَ هؤلاءِ فأقتلَ؟ فقالَ الرسولُ -ﷺ- بلى، وكانَ في يدِ عميرٍ تمراتٌ يأكلُ منها، فقال: أأعيشُ حتى آكلَ هذهِ التمراتِ؟إنَّها لحياةٌ طويلةٌ، وألقَى التمراتِ من يدِه وظلَّ يقاتلُ حتى قُتِلَ في سبيلِ اللهِ»(٢)، ثم تخبرُ الآياتُ الكريمةُ بأنَّ للهِ تعالى جنوداً كثيرةً من الملائكةِ والجنِّ والإنسِ، وغيرِهم والكلُّ تحتَ سلطانِه، وهوَ -سبحانَه- العليمُ بكلِّ شيءٍ الحكيمُ الذي يضعُ كلَّ شيءٍ في موضعِه بتقديرٍ وتدبيرٍ.

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.

فائدة:

الأمورُ المعينةُ لزيادةِ الإيمانِ:

١ – التقربُ إلى اللهِ تعالى بالفرائضِ.

٢ – فعلُ النوافلِ من صيامٍ وصلاةٍ وصدقةٍ...إلخ.

٣ – المحافظةُ على ذكرِ الله تعالى كأذكارِ الصباحِ والمساءِ وبعدَ الصلاةِ.

٤ – اجتنابُ المعاصي والآثامِ.

من هداية الآيات:

١ – فتحُ مكةَ من أعظمِ الأحداثِ في تاريخ الدعوةِ.

٢ – مكانةُ الرسولِ –ﷺ– عندَ ربِّه ساميةٌ.

٣ – الإيمانُ يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالمعصيةِ.

الدرس التاسع عشر
فوز المؤمنين وعذاب الكافرين
الآيات (٥- ٧) من سورة الفتح

قالَ تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ	سخط عليه
وَسَآءَتْ مَصِيرًا	نهاية قبيحة

المعنى الإجمالي:

نعيم أهل الجنة:

تبيّنُ الآياتُ الكريمةُ عاقبةَ المؤمنينَ ونهايةَ الظالمينَ، حتى يتنافسَ أهلُ الطاعةِ في أبوابِ البرِّ، ويعودَ العصاةُ إلى رشدِهم ويتوبوا إلى ربِّهم، ذكرَ أنسُ بنُ مالكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنَّ تلكَ الآياتِ نزلتْ حينَ رجوعِ النبيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منَ الحديبيةِ وقد خالطَ أصحابَه -رضيَ اللهُ عنهم- الحزنُ والكآبةُ وحيلَ بينَهم وبينَ العمرةِ، فنزلتِ الآياتُ تثبيتاً للصحابةِ وتسليةً لهم فشوَّقَهم للجنةِ

التي تجري منْ تحتِها الأنهارُ حيثُ هم فيها خالدونَ ومنَ الذنوبِ خالونَ فو اللهِ هذا لهوَ الفوزُ العظيمُ، يقولُ الرسولُ -ﷺ-: «لَقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ منَ الدنيا وما فيها»[1]، وقد أخبرَ الرسولُ -ﷺ- «أَنَّ في الجنة مائةَ درجةٍ ما بينَ كل درجتيْنِ كما بينَ السماءِ والأرضَ»[2]، ودخولُ الجنةِ نجاةٌ من كلِّ مرهوبٍ وفوزٌ بكلِّ مرغوبٍ.

عذاب أهل النار:

ولقدْ أعدَّ اللهُ للمنافقينَ والمشركينَ عذاباً دائماً لا ينقطعُ في نارِ جهنّمَ، طعامُهم فيها الزقومُ وشرابُهم الحميمُ ووقودُ هذهِ النارِ الناسُ والحجارةُ، وإنَّ أهونَ أهلِ النارِ عذاباً يومَ القيامةِ رجلٌ متنعلٌ بنعلينِ من نارٍ يغلي منهما دماغُه فعْن أنسِ بن مالكٍ -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ اللهِ -ﷺ-: «يُؤْتى بأنعمِ أهلِ الدنيا منْ أهلِ النارِ يومَ القيامةِ فيصبغُ في النارِ صبغةً ثم يُقالُ: يا ابنَ آدمَ هل رأيتَ خيراً قطُّ؟ هلْ مرَّ بكَ نعيمٌ قطُّ؟ فيقولُ: لا واللهِ يا ربِّ»[3].

عاقبة سوء الظن:

ثمّ يخبرُ اللهُ -تعالى- عن ظنِّ المنافقينَ السيء بأنَّ الله -تعالى- لنْ ينصرَ رسولَه -ﷺ- والمؤمنينَ، وقد حاقَ ظنُّهم بهمْ وارتدَّ عليهمْ، فسَخِطَ - سبحانَه - عليهمْ وأبعدَهم عن رحمتِهِ فكانتْ عاقبتُهم الهلاكَ ونهايتُهم الدمارَ، شأنُهم في ذلكَ شأنُ المجرمينَ في كلِّ الأزمانِ.

ويطَمئنُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- عبادَه المؤمنينَ بأنَّ معيَّته معهمْ ورعايتَه لهمْ، من خلالِ جنودِهِ الكثيرةِ، التي لا يعلمُها إلا هوَ، وكما أنَّ للهِ جنوداً ينزلونَ بالرحمةِ للمؤمنينَ والتأييدِ لهمْ، فلهُ أيضاً جنودٌ ينزلونَ بالسخطِ والغضبِ على الكافرينَ، وهوَ قويٌّ في انتقامِهِ. حكيمٌ في خلقِهِ.

(١) رواه البخاري.
(٢) صحيح الجامع الصغير.
(٣) رواه مسلم.

من هداية الآيات:

١ – النفاقُ منْ أشدِّ المهلكاتِ.

٢ – المؤمنُ حسنُ الظنِّ باللهِ.

٣ – المؤمنُ الطائعُ واثقٌ بنصرِ اللهِ.

٤ – للهِ جنودٌ كثيرةٌ لا يعلمُها إلا هوَ سبحانَه.

٥ – بيانُ عدلِ اللهِ –عزَّ وجلَّ– بمجازاةِ الطائعينَ بالجنةِ والعاصينَ بالنارِ.

الدرس العشرون
الرسول -ﷺ- سبب الهداية
الآيات (٨-٩) من سورة الفتح

قالَ تَعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَتُعَزِّرُوهُ	تعظموه
وَتُوَقِّرُوهُ	تحترموه
بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا	أول النهار وآخره

المعنى الإجمالي:

شهادة الرسول -ﷺ- على الخلق:

تُظهرُ الآيةُ الكريمةُ فضلَ الرسولِ -ﷺ-، ومكانتَه الرفيعةَ ودرجتَه العاليةَ، وأَنَّ اللهَ تعالى أرسلَه شاهداً على الخلقِ يومَ القيامةِ، قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ ﴾[1]، وقالَ تَعالى: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١ ﴾[2]، فهوَ -ﷺ- يشهدُ على أمتِه يومَ القيامةِ كما يشهدُ على الناسِ

(١) سورة المزمل: ١٥.
(٢) سورة النساء: ٤١.

أجمعينَ منْ يهودٍ ونصارى وغيرِهم، فيما يعتقدونَ من إيمانٍ وكفرٍ وطاعةٍ ومعصيةٍ، مبشراً الطائعينَ بالجنةِ ومنذراً الكافرينَ بعذابِ النارِ.

الإيمان بالرسول -ﷺ-:

ثم يوجّهُ اللهُ -تعالى- الناسَ إلى الإيمانِ باللهِ تعالى وحدَه وبالرسولِ -ﷺ- وإيمانُ المرءِ بالرسولِ -ﷺ- يقتضي منه أَنْ يؤمنَ بأَنَّهُ خاتمُ الرّسلِ، وأَنَّهُ أفضلُهم على الإطلاقِ، وأَنَّ رسالَته عامةٌ للإنسِ والجنِّ، وأنّ اللهَ تعالى أرسلَه رحمةً للعالمينَ، وأن يتّبعَ سنَّتَه المطهرةَ، قالَ تَعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

وقد صوَّرَ الرسولُ -ﷺ- رأفتَه ورحمتَه بالمؤمنينَ فقالَ:«إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الذباب والفراش يقعن فيها وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تَقَحمون فيها»[2].

مظاهر توقير وتقدير النبي -ﷺ-:

يأمرُ اللهُ تعالى المؤمنينَ بتوقيرِ الرسولِ -ﷺ- ونصرتِه، قالَ تَعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[3]، إنّ منْ حقِّ الرسولِ -ﷺ- أَنْ يُهابَ ويُعَظَّمَ ويُوَقّرَ، لأنَّ الفلاح إنما يكونُ لَمنْ جمعَ بينَ الإيمانِ بهِ وتعزيرِهِ، ومن مظاهرِ توقيرِ الرسولِ -ﷺ-:

أولاً: أَلاّ يخاطبَ باسمِه، بل يخاطبَ بصفتِهِ التي شَرَّفَهُ اللهُ بها، فيُقالُ: يا رسولَ اللهِ، ويا نبيَّ اللهِ. وقد حثَّ اللهُ تعالى على ذلكَ فقالَ: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: ٣١.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.
(٤) سورة النور: ٦٣.

ثانياً: حبُّ النبيِّ -ﷺ-.

ثالثاً: تقديمُ أوامرِه على هوى النفسِ.

رابعاً: اتباعُ سننِه والسيرِ على هديِه.

خامساً: الدفاعُ عن النبيّ -ﷺ-.

والمؤمنُ عليه أن يكثرَ من تسبيحِ اللهِ -تعالى- في كلِّ الأوقاتِ وخاصةً في الصباحِ والمساءِ، وذلكَ لشرفِ هذينِ الوقتينِ وفضلِهما وليكونَ القلبُ على اتصالٍ باللهِ سبحانَه دائماً.

من هداية الآيات:

١ - علوُّ قدرِ الرسولِ -ﷺ-.

٢ - الرسولُ -ﷺ- يشهدُ على الناسِ يومَ القيامةِ.

٣ - المؤمنُ يوّقرُ الرسولَ -ﷺ-.

٤ - نصرةُ الرسولِ -ﷺ- تكونُ باتباعِ سنّتِه.

الدرس الحادي والعشرون
فضل الصحابة رضي الله عنهم
الآيات (١٠ - ١٣) من سورة الفتح

قالَ تَعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
نَكَثَ	نقض
بُورًا	هالكين
سَعِيرًا	نارا شديدة موقدة

المعنى الإجمالي:

بيعة الرضوانِ:

تتحدثُ الآيةُ الكريمةُ عن بيعةِ الرضوانِ، والتي بايعَ فيها المسلمونَ الرسولَ -ﷺ- على الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وسميّتْ هذهِ البيعةُ بهذا الاسمِ لأنّ اللهَ -تعالى- رضيَ عن الذينَ

بايعوا الرسولَ -ﷺ- فيها، وهمُ الصحابةُ -رضي الله عنهم- الذينَ همْ أفضلُ هذهِ الأمةِ بعدَ رسولِ الله -ﷺ-. يقولُ ابنُ مسعودٍ -رضي الله عنه- (إنَّ اللهَ نظرَ في قلوبِ العبادِ فوجدَ قلبَ محمدٍ -ﷺ- خيرَ قلوبِ العبادِ فاصطفاه لنفسِهِ فابتعثَه برسالتِه، ثمَّ نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ محمدٍ -ﷺ- فوجدَ قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قلوبِ العبادِ فجعلَهم وزراءَ نبيّهِ يُقاتِلون على دينه)[1].

والصحابيُّ هوَ مَن لقيَ النبيَّ -ﷺ- مؤمناً بهِ، وماتَ على ذلك، وقد وردَ في فضلِهم آياتٌ وأحاديثُ كثيرةٌ.

تشريف الله لرسوله -ﷺ-:

وفي الآيةِ تشريفٌ - للرسولِ -ﷺ- حيثُ جعلَ اللهُ -تعالى- مبايعتَه مبايعةً للهِ تعالى، وهوَ معَهم في المبايعةِ يسمعُ كلامَهم ويرى مكانَهم ويعلمُ سرَّهمْ ونجواهمْ.

نقض العهود من سمات المنافقين:

ثمَّ جاءتِ الآياتُ بعدَ ذلكَ تحذّرُ من نقضِ العهدِ، وتوضّحُ أَنَّ مَنْ يفعلُ ذلكَ فإنَّما إثمُه على نفسِه، وأَنَّ مَنْ يفي بعهدِ اللهِ فمثواهُ جنةٌ عرضُها السماواتُ والأرضُ، ثمّ يذكرُ اللهُ -تعالى- حالَ المنافقينَ منْ أعرابِ غفارٍ ومُزَينةٍ وجُهَينةٍ يومَ أَنْ تخلّفوا عن أداءِ العمرةِ ظناً منهم أَنَّ الغلبةَ ستكونُ للمشركينَ، وأنّ رجوعَ المسلمينَ سالمينَ بعيدُ المَنالِ، لكنَّ اللهَ- تعالى- خيَّبَ ظنَّهم وكانَ صلحُ الحديبيةِ نصراً للأمةِ. وتعرضُ الآيةُ بعدَ ذلكَ لموقفِ المنافقينَ وهمْ يرجونَ رسولَ الله -ﷺ- أَنْ يستغفرَ لهمْ، بحجةِ أَنَّ أموالَهم وأولادَهم شغلتْهم عنِ الجهادِ، والحقُّ أَنَّ أقوالَهم تخالفُ ضمائرَهمْ ثم يفضحُ اللهُ تعالى المنافقينَ، مبيناً أَنَّ الأمرَ كلَّه بيدِه سبحانَه وأَنَّهُ وحدَه يملكُ الضرَّ والنفعَ، وقلْ يا محمدُ لهؤلاءِ المتخلفينَ مَنْ يمنعُكم من مشيئةِ اللهِ

(١) رواه أحمد.

-تعالى- إِنْ أرادَ أَنْ يُلحقَ بكم ضراً كالهزيمةِ أو نفعاً كالنصرِ والغنيمةِ، ولكنَّ ظنَّكم السيِّء أوقعَ بكم الهلاكَ، وأنزلَ بكم الدمارَ، وفي نهايةِ الآياتِ بيانٌ بأنَّ عاقبةَ الكافرينَ السعيرُ، جزاءَ كفرِهم وبغيِهم.

من هداية الآيات:

١-عِظَمُ مكانةِ الرسولِ -ﷺ- عندَ ربِّه.

٢- رحمةُ الرسولِ -ﷺ- بالأمةِ.

٣- النفاقُ منْ أكبرِ الموبقاتِ.

٤ - الوفاءُ بالعهدِ من سماتِ المؤمنِ.

الدرس الثاني والعشرون
طلب المتخلفين الغنائم
الآيات (١٤ - ١٥) من سورة الفتح

قالَ تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَغَانِمَ	ما يحصل عليه المسلمون من المشركين بقتال
ذَرُونَا	دعونا
تَحْسُدُونَنَا	تمني زوال النعمة عن الآخرين
لَا يَفْقَهُونَ	لا يفهمون

المعنى الإجمالي

الملك لله تعالى وحده:

توضّحُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ اللهَ وحدَه يملكُ الكونَ وما فيه من سماءٍ وأرضٍ، وأنهُ غنيٌّ عنْ عبادِه، يعفو عمّنْ تابَ وأنابَ ويعذبُ مَنْ أعرضَ وتوَّلى، ثمّ تبينُ الآياتُ الكريمةُ أنَّ الصحابةَ – رضي الله عنهم – لمَّا رجعوا يومَ الحديبيةِ دونَ أنْ يؤدوا العمرةَ وعدَهم اللهُ غنائمَ خيبرٍ، التي فتحَها المسلمونَ دونَ قتالٍ، في السنةِ السابعةِ من الهجرةِ، وجعلَها الرسول –ﷺ– لأهلِ

الحديبيةِ دونَ غيرِهم، وهذا من لطفِ اللهِ تعالى ورحمتِه بأولئكَ الذينَ خرجوا يريدونَ العمرةَ فحرموا منها.

حرص المنافقين على الدنيا

وقدْ أرادَ الذينَ تخلفوا عن الحديبيةِ أنْ يخرجوا مع المسلمينَ إلى خيبرَ حرصاً على الدنيا وليسَ حباً في الجهادِ قائلينَ: دعونا نخرجْ معَكم، فمنَعهم الرسولُ -ﷺ- لأنَّ غنائمَ خيبرَ تخصُّ أهلَ الحديبيةِ كما سبقَ ذكرُه، وأعطاهم الرسولُ -ﷺ- هذهِ الغنائمَ بوحيٍ منَ اللهِ -تعالى- وفي قولهِ تعالى: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ مبالغةٌ في النهيِ عن أخذِهم إلى خيبرَ، ومعنى ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: هذا حكمُ اللهِ بعدَ الانصرافِ من الحديبيةِ، غيرَ أنَّ المنافقينِ حاولوا أنْ يغيروا حكمَ اللهِ وأنْ يلحقوا بالجيشِ، وزعموا أنَّ المسلمينَ منعوهمْ حسداً منْ عندِ أنفسِهم، وفي الحقيقةِ أنَّ المنعَ كانَ من اللهِ -تعالى- وحدَه لكنَّهم لا يفهمونَ من أمرِ الدينِ إلا قليلاً.

الحسد ليس من أخلاق الإسلام:

والحسدُ في حقيقتِه ليسَ من أخلاقِ المسلمينَ كما يزعمُ المخلفونَ بَل من سلوكِ أهلِ الباطلِ، لأنَّ الحاسدَ يعادي قضاءَ اللهِ -تعالى- بخلافِ الغبطةِ التي يتمنى فيها الإنسانُ أنْ يكونَ لهُ مثلُ ما لغيرِه، وهذا أمرٌ محمودٌ، حبَّبَ إليه الإسلامُ، وقد ذمَّ اللهُ -تعالى- الحسدَ في مواضعَ عدةٍ من القرآنِ الكريمِ قالَ تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]، وقد يتطوّرُ الحسدُ عندَ كثيرٍ من الناسِ حتى يصبحَ حقداً، وهوَ أخطرُ من الحسدِ، لأنَّ الحاقدَ تظهرُ عداوتُه على لسانِه أوفي يدِه، وعن هذا الخلقِ الذميمِ يقولُ الرسولُ -ﷺ-: (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)[2]، وفي الآياتِ الكريمةِ إشارةٌ على صدقِ نبوةِ الرسولِ -ﷺ- فقدْ أخبرَ بما سوفَ يقولُه المخلفونَ، وقد قالوه بالفعلِ.

(١) سورة النساء: ٥٤.
(٢) الجامع الصغير.

من هداية الآيات:

١ – رحمةُ اللهِ تعالى بالمسلمينَ.

٢ – الحسدُ ليسَ من شِيَمِ المسلمينَ.

٣ – اللهُ تعالى يكشفُ خبثَ المنافقينَ.

٤ – صدقُ نبوّةِ الرسولِ –ﷺ–.

الدرس الثالث والعشرون
يسر الشريعة الإسلامية
الآيات (١٦ - ١٧) من سورة الفتح

قالَ تَعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
سَتُدْعَوْنَ	تطلبون
بَأْسٍ شَدِيدٍ	أقوياء
تَتَوَلَّوْا	تعرضوا عن الجهاد

المعنى الإجمالي:

عاقبة المتخلفينَ عن الجهادِ:

يأمرُ اللهُ تعالى رسولَه محمداً -ﷺ- بأَنْ يقولَ: لأولئكَ الذينَ تخلفوا عنِ الجهادِ بأنّكمْ ستُدعونَ في المستقبلِ إلى قتالِ قوم أقوى وأشدَّ منَ الذينَ تخشونَهم، وقد أخبرَ أهلُ العلمِ أنَّ المعنيينَ بذلكَ همْ فارسُ والرومُ، وقد دعا عمرُ بنُ الخطابِ -رضي الله عنه- إلى قتالِ الفرسِ والروم، وأنتمْ مطالبونَ بدعوتهم عندَ اللقاءِ إلى الدخول في الإسلام، وأن يُذعنوا للحقِّ أو تقاتلوهم حمايةً للعقيدةِ، ونصرةً للشريعةِ، فإنْ أنتمْ فعلتُمْ ذلكَ وثبتّم على الحقِّ منحكم اللهُ

النصرَ والغنيمةَ في الدنيا، والجنةَ في الآخرةِ، وإنْ تخاذَلْتُم كَما تخاذَلْتُم يومَ الحديبيةِ فمأواكم النارُ وعاقبتُكم الخسرانُ.

رفع الحرج عن أصحاب الأعذار:

ولمَّا ظهرَ الوعيدُ الشديدُ للمتخلفينَ عن الجهادِ خافَ أهلُ الأعذارِ كأصحابِ المرضِ والضعفِ، ومَنْ لا حيلةَ لهمْ في الجهادِ من المؤاخذةِ وقالوا كيفَ بنا يا رسولَ اللهِ؟ فنزلتْ هذهِ الآيةُ لتوضّحَ أنهُ لا إثمَ على مَنْ حبَسهُ العذرُ كالمرضِ وفقدانِ البصرِ، وهذا منْ مظاهرِ التيسيرِ في الشريعةِ الإسلاميةِ قالَ تَعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾[1]، ورُغْمَ ذلكَ فقدْ كانَ السلفُ يحرصونَ على الجهادِ، فقد كان عَمروُ بنُ الجموح -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أعرجَ شديدَ العرجِ، وكانَ لهُ أربعةُ بنينَ شبابٍ يغزونَ مع رسولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا غزَا، فلمّا توجَّهَ رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى أُحدٍ أرادَ أن يتوجَّهَ معهُ، فقالَ له بنوهُ: إنَّ اللهَ قدْ جعلَ لكَ رخصةً، فلو قعدْتَ ونحنُ نكفيكَ، وقدْ وضعَ اللهُ عنكَ الجهادَ، فأتى عمروُ بن الجموح -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- رسولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقالَ: يا رسولَ اللهِ إنَّ بَنيَّ هؤلاءِ يمنعونني أنْ أخرجَ معكَ، واللهِ إنّي لأرجو أنْ استَشْهَدَ «فأطأَ بعرجتي هذهِ في الجنةِ»، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أمَّا أنتَ فقدْ وضعَ اللهُ عنكَ الجهادَ»، وقال لبنّيه: «وما عليكم أنْ تدعوه لعلَّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- أنْ يرزقَه الشهادةُ»، فخرجَ معَ رسولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقُتِلَ يومَ أحدٍ شهيداً»[2].

ثم يبيّنُ الحقُّ - تباركَ وتعالى - أَنَّ مَنْ يطعِ أمرَ اللهِ -تعالى- وأمرَ رسولِه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدخلُه جناتِ النعيمِ خالداً فيها، ومَنْ ينكُلْ عن الجهادِ بغيرِ عذرٍ يعذّبُه اللهُ عذاباً شديداً في الدنيا بالمذلةِ وفي الآخرةِ بالنارِ.

(١) سورة الحج: ٧٨.
(٢) أخرجه البيهقي.

من هداية الآيات:

١- يُسرُ الشريعةِ الإسلاميةِ.

٢- مكانةُ عمرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

٣- سَعَةُ رحمةِ اللهِ تعالى وعظيمُ فضلِه.

٤- سوءُ عاقبةِ المعرضينَ عنْ أمرِ اللهِ ورسولِه.

الدرس الرابع والعشرون
بيعة الرضوان
الآيات (١٨ - ٢٣) من سورة الفتح

قالَ تَعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
ٱلسَّكِينَةَ	الطمأنينة
لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ	انهزموا
سُنَّةَ	طريقة

المعنى الإجمالي

فضلُ الصحابةِ رضي الله عنهم

يترضَّى اللهُ -تعالى- عنِ الصحابةِ الأبرارِ- رضي الله عنهم - حينما بايعوا النبيَّ -ﷺ- على الجهادِ تحتَ الشجرةِ بالحديبيةِ، وقد بشَّرَ الرسولُ -ﷺ- الذينَ بايعوا بالجنةِ فقالَ

رسولُ الله -ﷺ-: «لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممّنَ بايعَ تحتَ الشجرةِ»[1]، ومِنْ فضلِه عليهم نزولُ الطمأنينةِ، وَمَنَحهم أموالَ خيبرَ، وكانَ اللهُ ولا يزالُ غالباً له العزةُ والقدرةُ فلو شاءَ لنصرَ المؤمنينَ ولكنَّه حكيمٌ في كلِّ أفعالِه يمتحنُ المؤمنَ والكافرَ، ثم وعدَ اللهُ -تعالى- المؤمنينَ بعطايا أخرى فقالَ تَعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا﴾ أي: في المستقبلِ وقد صدقَ اللهُ -تعالى- وعدَه معَهم، فلقد غنموا بعدَ ذلك من بلادِ فارسَ والروم وغيرِهما، ومنْ رحمتِه بهمْ بعدَ منحِهم أموالَ خيبرَ أنْ حفظَ الصحابةَ - رضي الله عنهم - منْ أهلِ خيبرَ وحلفائِهم منْ بني أسدٍ وغطفانَ، وهذهِ النعمُ التي أعطاها لكمْ من التعجيلِ بالغنائمِ وكفِّ الأذى هي بشاراتٌ للمؤمنينَ و﴿وَيَهۡدِيَكُمۡ﴾ أيُّها المؤمنونَ ﴿صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾أَيْ: طريقاً واضحاً قويماً.

الفتح المبين:

ثم تبشّرُ الآيةُ بدخولِ مكةَ دونَ قتالٍ، فقالَ تَعالى ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا﴾ وهو فتح مكة، وقيل حُنين، ومعنى ﴿قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: حفظَها اللهُ عليكم ليكونَ فتحُها لكم، وتظهرُ حكمةُ اللهِ البالغةَ في الصلحِ في أنَّ أهلَ مكةَ لو قاتلوا المسلمينَ لهُزِموا، ولم يجدوا هادياً يرشدُهم إلى الحقِّ، لكنَّ اللهَ أرادَ لهمْ الخيرَ من خلالِ الصلحِ فحَقَنَ به دماءَ الجميعِ، وتلكَ هيَ رحمةُ اللهِ تعالى بالناسِ كافةً قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾[2]، والناظرُ يدركُ أن النصرَ- دائماً - يكونُ حليفَ المسلمينَ، قالَ تَعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾[3]، وفي الآياتِ دليلٌ على أنَّ سننَ اللهِ -تعالى- لا تتبدلُ ومن سننِه وعادتِه في خلقِه، أنَّه ما تقابلَ الكفرُ والإيمانُ في موطنِ فصلٍ، إلا نصرَ اللّه الإيمانَ على الكفرِ، كما حدثَ يومَ بدرٍ.

(١) صحيح الجامع الصغير.
(٢) سورة البقرة: ١٤٣.
(٣) سورة غافر: ٥١.

من هداية الآيات:

١- وجوبُ طاعةِ الرسولِ -ﷺ- في كلِّ الأمورِ.
٢- النصرُ حليفُ المؤمنينَ دائماً.
٣- سننُ اللهِ ثابتةٌ لا تتغيرَ.

الدرس الخامس والعشرون
صلح الحديبية
الآيات (٢٤- ٢٦) من سورة الفتح

قالَ تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَعْكُوفًا	محبوساً
مَّعَرَّةٌ	عيب
حَمِيَّةَ	عصبية

المعنى الإجمالي:

قيمةُ العفو:

تعدّدُ الآياتُ نِعمَ اللهِ -تعالى- على المسلمينَ ومنها صرفُهمْ عنْ مواجهةِ الكفارِ وصرفِ الكفارِ عن مواجهتِهم، وفي ذلكَ حقنٌ للدماءِ. وحفظٌ للأرواحِ، وما كانَ هذا ليحدثَ لولا

الصلحُ الذي تمَّ بينَ الرسولِ -ﷺ- وأهلِ مكةَ بالحديبيةِ، ثم يوضّحُ -جلَّ وعلا- قيمةَ العفوِ التي تجلَّتْ في شخصِ الرسولِ -ﷺ- عندمَا عفا عن ثمانينَ شخصاً من قريشٍ طافوا بمعسكرِ المسلمينَ ليصيبوا منهم، لكنَّ اللهَ أمكنَ رسولَه -ﷺ- منْهمْ، ثمَّ خلَّى سبيلَهم، وكانَ -تعالى- ولا يزالُ مطلعاً على كلِّ أعمالِكم.

صيانةُ البيتِ الحرامِ:

ثمَّ توضحُ الآياتُ أنَّ اللهَ -تعالى- شاءَ الصلحَ صيانةً لبيتِهِ العتيقِ مِنْ أن تُرَاقَ فيهِ الدماءُ، هذا البيتُ الذي جعلهُ اللهُ مثابةً للناسِ وأمناً، ويبيّنُ اللهُ -تعالى- استحقاقَ الكفارِ للعقابِ الأليمِ والعذابِ الشديدِ لأنَّهم صدُّوا المسلمينَ عن دخولِ البيتِ الحرامِ، ومنعوا الهَدْيَ أنْ يصلَ إلى المكانِ الذي يذبحُ فيهِ وهوَ الحرمُ، وتذكرُ الآياتُ نعمةً أخرى على المؤمنينَ وهيَ حفظُ دماءِ المستضعفينَ منَ المؤمنينَ الذينَ كانوا يُخْفونَ إيمانَهم في مكةَ، ولولا الصلحُ لأُصيبَ بعضُ هؤلاءِ من قِبَلِ إخوانِهم دونَ معرفةٍ، وهذا يترتّبُ عليه الحرجُ، فلولا ذلكَ لأَذِنَ اللهُ -تعالى- لكمْ بدخولِ مكةَ مقاتلينَ ولكنَّ اللَّه سلَّمَ، وقْد أرادَ اللهُ تعالى بعدَ الفتحِ أَنْ يُعلنَ هؤلاءِ إسلامَهم بلا خوفٍ، بعدمَا سادَ الأمانُ. ومعنى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ لو تميَّزَ المؤمنونَ من غيرِهم لعذّبْنَا الكافرينَ عذاباً شديداً.

العصبيةُ الجاهليةُ:

وفي الآياتِ الكريمةِ بيانٌ لما كانَ عليه مشركو قريشٍ منَ الظلمِ والعصبيةِ وفي مقابلِ ذلكَ نرى طاعةَ المسلمينَ للرسولِ -ﷺ-، وحرصَهم على تنفيذِ أمرِهِ، رَغْمَ ما رأُوا في بنودِ المعاهدةِ منْ إجحافٍ، لكنَّ الإيمانَ والثباتَ على الحقِّ، واستمساكَهم بكلمةِ التقوى، وهيَ «لا إله إلا الله» كانَ ذلكَ حصناً منيعاً لهمْ من الزللِ، وقدْ كانَ الصحابُة -رضي الله عنهم- أهلاً لهذا الشرفِ، وهوَ صحبتُه -ﷺ- دونَ غيرِهم من أهلِ مكةَ. وهوَ -تعالى- لا يخفى عليهِ شيءٌ.

من هداية الآيات:

١- المسلمُ يَرْضى بقضاءِ اللهِ وقَدَرِه في كلِّ الأحوالِ.

٢- التوكّلُ على اللهِ تعالى.

٣- البعدُ عنِ العصبيّةِ والنفورِ.

٤- فضلُ كلمةِ التوحيدِ.

الدرس السادس والعشرون
رؤيا دخول البيت الحرام
الآيات (٢٧ – ٢٨) من سورة الفتح

قالَ تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
ٱلرُّءْيَا	الشيء الحسن يراه النائم في نومه
مُحَلِّقِينَ	أزالوا شعر الرأس كاملاً
لِيُظْهِرَهُۥ	ليعليه

المعنى الإجمالي:

رؤيا الأنبياء – عليهم السلام – حقٌّ ووحيٌ من اللهِ تعالى:

تخبرُ الآياتُ الكريمةُ أنَّ اللهَ حقَّقَ لرسولِه –ﷺ– ما رآه في المنام، وكانَ قد قصَّ على أصحابِه –رضي الله عنهم– أنَّه رأى في المنام أنَّه –ﷺ– قد دخلَ وأصحابَه مكةَ وأدَّوا العمرةَ، ولمَّا توجَّهَ الرسولُ –ﷺ– ليحقّقَ هذهِ الرؤيا صدَّهَم المشركونَ عن دخولِ مكةَ، ورجعوا دونَ أنْ يؤدوا العمرةَ، وقد نزلتْ هذهِ الآيةُ حالَ عودتِه من الحديبيةِ، فسألَ بعضُ الصحابةِ –رضي الله عنهم– الرسولَ –ﷺ– عن رؤياه قائلاً: ألَمْ تخبرْنا بالدخولِ؟ قالَ: نَعمْ

لكنْ لمْ أقلْ لكم: الدخولُ هذا العامَ، ولم يكنْ سؤالُ الصحابةِ شكاً في الدخولِ، بلْ كان تطلعاً لدخولِ مكةَ واستعجالاً للطوافِ بالبيتِ لمعرفتِهم بفضلِه، فهمْ يعرفونَ أنَّه أولُ بيتٍ وُضِعَ للعبادةِ، والصلاةُ فيه أجرُها عظيمٌ، وقد بناهُ أبو الأنبياءِ إبراهيمُ -عليه السلام- مع يقينِهم الكاملِ بأنَّ اللهَ تعالى سيحققُ لرسولِه ما وَعدَ، فهمْ يعلمونَ أنَّ رؤيا الأنبياءِ حقٌّ لكنَّ المنافقينَ شكُّوا في الدخولِ، ودخلَ الرسولُ -ﷺ- والمسلمونَ مكةَ وطافوا بالبيتِ بعدَ نزولِ الآيةِ بعامٍ، وذلكَ في عمرةِ القضاءَ في السنةِ السابعةِ من الهجرةِ، ثم تبيّنُ الآياتُ الكريمةُ حالَ المسلمينَ أثناءَ مسيرِهم إلى البيتِ الحرامِ، وقد بَدَتْ عليهمْ مظاهرُ العمرةِ من الحلقِ أو التقصيرِ، وهذا يكونُ للرجالِ، أما النساءُ فلهنَّ التقصيرُ دونَ الحلقِ، كما أنَّ التحليقَ في حقِّ الرجالِ أفضلُ، يقولُ الرسولُ -ﷺ-: «رحِمَ اللهُ المحلقينَ قال رجلٌ: والمقصرينَ، قال رحِمَ اللهُ المحلقينَ، قالَ رجلٌ: والمقصرينَ قال:رحِمَ اللهُ المحلقينَ، قال رجلٌ: والمقصرينَ قال: والمقصرينَ»[1]، وفي الآيةِ دلالةٌ على فضلِ اللهِ تعالى على المسلمينَ، وبيانِ سعةِ علمِه الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ، وكيفَ حفظَهم وحفِظَ المسلمينَ الذينَ كانوا يخفونَ إسلامِهم بمكة، وذلكَ بالصلحِ الذي تمَّ بينَ المشركينَ والرسولِ -ﷺ- وقدْ جعلَ اللهُ قبلَ فتحِ مكةَ الذي كانَ في السنةِ الثامنةِ من الهجرةِ فتحاً عاجلاً ونصراً مؤزراً وهو صلحُ الحديبيةِ الذي تمَّ في السنةِ السادسةِ من الهجرةِ.

أثرُ صلحِ الحديبيةِ على الدعوةِ:

وسُمّيَ صلحُ الحديبيةِ فتحاً للآثارِ المترتبةِ عليهِ والعواقبِ الحميدةِ التي نتجتْ عنهُ، فعَنِ البراءِ -رضي الله عنه- قالَ: تعدّونَ أنتمُ الفتحَ فتحَ مكةَ، وقد كانَ فتحُ مكة فتحاً، ونحنُ نعدُّ الفتحَ بيعةَ الرّضوانِ يومَ الحديبيةِ، وتختمُ الآياتُ ببيانِ عظمةِ الرسالةِ والرسولِ -ﷺ- الذي أرسلَه اللهُ تعالى رحمةً للعالمينَ، قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[2]، وقد جاءَ بالهدايةِ التامةِ والدينِ الحقِّ، فأنقذَ اللهُ بهِ البشريةَ من الضلالِ، وأخرجَها من الظلماتِ إلى النورِ، وسادَ دينُه على كلِّ الأديانِ، وعمّتْ شريعتَه أرجاءَ المعمورةِ، وكفى باللهِ شهيداً على أنَّ محمداً -ﷺ- عبدُه ورسولُه.

(١) رواه مسلم.
(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

من هداية الآيات:

١ – رؤيا الأنبياءِ وحيٌ من اللهِ تعالى.

٢ – مكانةُ صلحِ الحديبيةِ عندَ الصحابةِ والمسلمينَ.

٣ – يسرُ وسماحةُ شريعةِ الإسلامِ.

الدرس السابع والعشرون
صفة الصحابة رضي الله عنهم في الكتب السماوية
الآية (٢٩) من سورة الفتح

قالَ تَعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
شَطْـَٔهُۥ	فُروعه
فَـَٔازَرَهُۥ	قَوَّاه
فَٱسْتَغْلَظَ	شبَّ وطالَ

المعنى الإجمالي:

صفات صحابة رسول -ﷺ- في التوراة:

تتناولُ الآيةُ الكريمةُ شهادةَ اللهِ -تعالى- لنبيِّه -ﷺ- بالرسالةِ، وهذا حقٌّ لا ريبَ فيه.

ثم تستعرض الآيةُ بعضَ صفاتِ الصحابةِ التي اتّصفُوا بها في التوراةِ:

أوّلُها: القوةُ والرحمةُ: فعلى رأسِ تلكَ الصفاتِ القوةُ والشدةُ في مواجهةِ الأعداءِ، والرحمةُ واللينُ معَ إخوانِهم، قال رسول الله -ﷺ-: «مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتراحمِهم كمثلِ

الجسدِ الواحِد إذا اشتكى منه عضوٌ تَداعى لهُ سائرُ الأعضاءِ بالسهرِ والحُمّى»[1].

ثانيها: المحافظةُ على الصلاةِ: ثمَّ يخبرُ اللهُ عن صفةٍ أخرى من صفاتِ الصحابةِ والمؤمنينَ، وهي المحافظةُ على الصلاةِ في وقتِها، فقدْ سُئِلَ رسولُ اللهِ -ﷺ- أيُّ العملِ أفضلُ قال: «الصلاةُ على وقتِها»[2].

ثالثها: الإخلاصُ: فهمْ يفعلونَ ذلكَ ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- وتلكَ هي قيمةُ الإخلاصِ التي حثَّنَا عليها الإسلامُ.

رابعها: السجودُ والتقربُ للهِ تعالى: كما قالَ تَعالى ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فتبدو علاماتُ الطاعةِ على الوجهِ، وقد عبَّرَ عنْ ذلكَ أحدُ السلفِ في قولهِ: «إن للحسنة نوراً في القلب وضياءً في الوجهِ وسعةً في الرزقِ ومحبةً في قلوبِ الناسِ»[3] وفي الآيةِ إشارةٌ إلى أنَّ الصحابةَ وصفوا بتلك الصفاتِ في التوراةِ.

صفاتُ الصحابةِ رضي الله عليهم في الإنجيلِ:

وفي الآيةِ أسلوبٌ بديعٌ، حيثُ يشبّهُ اللهُ تعالى الصحابةَ رضي الله عنهم حولَ الرسولِ -ﷺ- في الإنجيلِ بالزرعِ الذي ينمو ويزدادُ بكثرةِ أفرعِه، فيُعجبُ الزارعَ بزرعهِ وذلكَ ليغيظَ بهمُ الكفارَ، فالصحابةُ في مهدِ الدعوةِ كانوا قلةً، لكنْ معَ مرورِ الوقتِ كثّرَهم اللهُ تعالى، وتحملُ الآيةُ زجراً شديداً لمَنْ يتعرّضُ للصحابةِ بسوءٍ، أو يطعنُ فيهم، وقد حذَّرَ الرسولُ -ﷺ- من سبِّ الصحابةِ فقالَ: «لا تسبُّوا أصحابي فلو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحدٍ ذهباً ما بلغَ مدَّ أحدِهم ولا نصيفَه»[4]، وقال الإمامُ أحمدُ -رحمه الله- (إذا رأيتَ رجلاً يذكرُ أصحابَ رسولِ اللهِ -ﷺ- بسوءٍ فاتهمْه على الإسلامِ) وقد كثرتِ الآياتُ في الثناءِ عليهمْ قالَ تَعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ

(١) رواه مسلم.
(٢) مسند أحمد.
(٣) ميزان الاعتدال.
(٤) رواه مسلم.

نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[1]، وقد وعدَ اللهُ -تعالى- الصحابةَ بمغفرةِ الذنوبِ ورفعِ الدرجاتِ والنعيمِ المقيمِ، في جنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ.

من هداية الآيات:

١ - الطعنُ في الصحابةِ يصلُ بصاحبِهِ إلى الكفرِ.

٢ - ثناءُ الكتبِ السماويةِ السابقةِ على الصحابةِ رضي الله عنهم.

٣ - الصلاةُ من أفضلِ الطاعاتِ.

٤ - عظمةُ الدينِ الإسلامي.

(١) سورة الحشر: ٨-٩.

بين يدي سورة الحجرات

التعريفُ بالسورة الكريمة:

سورةُ الحجراتِ الكريمةُ رقمُها في المصحفِ ٤٩، وعددُ آياتِها ١٨، نزلتْ بعد سورةِ المجادلةِ، وسورةُ الحجراتِ مدنيةٌ، سمَّاها بعضُ المفسرينَ بسورةِ الأخلاقِ، وسُمّيتْ بهذا الاسم لأنَّ اللهَ تعالى ذكرَ فيها حرمةَ بيوتِ النبيِّ -ﷺ- وهيَ الحجراتُ التي كان يسكنُها أمهاتُ المؤمنينَ الطاهراتُ رضوانُ اللهِ عليهنّ.

١ - ابتدأتِ السورةُ الكريمةُ بالأدبِ الرفيعِ الذي أدَّبَ اللهُ تعالى بهِ المؤمنينَ وهوَ ألا يفعلوا أيَّ أمرٍ، أو يبدوا رأياً في حضرةِ الرسولِ -ﷺ- حتى يستشيروه ويتمسكوا بإرشاداتِه الحكيمةِ.

٢ - وذكرتْ أدباً ثانياً وهوَ خفضُ الصوتِ إذا تحدثوا معَ الرسولِ -ﷺ- تعظيماً لمكانتِه الشريفةِ، ومنْ واجبِ المؤمنينَ أنْ يتأدبوا معهُ في الخطابِ.

٣ - وتنتقلُ السورةُ لتقريرِ ركائزِ المجتمعِ الفاضلِ، فيأمرُ اللهُ تعالى المؤمنينَ بعدمِ السماعِ للإشاعاتِ والتثبتِ من الأنباءِ والأخبارِ.

٤ - دعتِ السورةُ إلى الإصلاحِ بينَ المتخاصمينَ، ودفعِ عدوانِ الباغينَ.

٥ - حذرتِ السورةُ من السخريةِ والهمزِ واللمزِ، ونفّرتْ منَ الغيبةِ والتجسسِ والظنِّ السيءِ بالمؤمنينَ، ودعتْ إلى مكارمِ الأخلاقِ.

٦- رسمتْ للناسِ معالمَ لمجتمعٍ كريمٍ، تشعّ فيهِ الآدابُ الساميةُ، والأخلاقُ العاليةُ، والقيمُ الجليلةُ، وتختفي فيه ما يتعارضُ مع هذهِ المعاني كالحقدِ والغيبةِ والتقاتلِ والتفاخرِ بالأحسابِ والأنسابِ.

٧ - وخُتِمتِ السورةُ بالحديثِ عن الأعرابِ الذينَ ظنُّوا الإيمانَ كلمةً تُقالُ باللسانِ، فبيّنت الآياتُ حقيقةَ الإيمانِ، وحقيقةَ الإسلامِ.

الدرس الثامن والعشرون

أدب التعامل مع الرسول -ﷺ-

الآيات(١-٥) من سورة الحجرات

قالَ تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَٱتَّقُواْ	خافوا
يَغُضُّونَ	يخفضون
يَعْقِلُونَ	يفهمون

المعنى الإجمالي

الدينُ المعاملةُ:

هذهِ آياتٌ فيها تأديبٌ وتعليمٌ وتهذيبٌ منَ اللهِ تعالى لعبادِه المؤمنينَ، حيثُ يعلمُهم أصولَ التعاملِ معَ الرسولِ -ﷺ-، فيخاطبُهم ويقولُ لهمْ يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تعجلوا بقولٍ ولا فعلٍ قبلَ أنْ يأمرَ بهِ اللهُ ورسولهُ -ﷺ-، قالَ ابنُ عباسٍ: لا تقولوا خلافَ الكتابِ والسنةِ، واجعلوا لأنفسِكم وقايةً من عذابِ اللهِ بامتثالِ شرعهِ إنَّ اللهَ عظيمُ السمعِ لكلّ ما تقولونَ، محيطٌ علمُه بكلِّ شيءٍ.

ثم يؤدّبُ اللهُ تعالى المؤمنينَ بأدبٍ ثانٍ، فيا أيُّها المؤمنونَ إذا كلّمتمْ رسولَ اللهِ -ﷺ- فاخفضوا أصواتكم عندَه ولا ترفعوها على صوتِه، ولا تبلغوا حدَّ الجهرِ عندَ مخاطبتِه -ﷺ- كما يجهرُ بعضُكم في الحديثِ مع البعضِ، ولا تخاطبوه باسمه وكنيتِه كما يخاطبُ بعضُكم بعضاً فتقولوا: يا محمدُ، ولكنْ قولوا يا نبيَّ اللهِ، ويا رسولَ اللهِ، تعظيماً لقدرِه، ومراعاةً للأدبِ، والسببُ في النهيِ عنْ رفعِ الصوتِ أمامَ النبيِّ -ﷺ- حتى لا تبطلَ أعمالُكم وأنتمْ لا تدرونَ ولا تشعرونَ.

أدب الصحابةِ مع النبي -ﷺ-

وكانَ الصحابيُّ الجليلُ ثابتُ بنُ قيسٍ -رضي الله عنه- رفيعَ الصوتِ، فلمّا نزلتِ الآيةُ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قال: أنا كنتُ أرفعُ صوتي على رسولِ اللهِ، حَبِطَ عملي وأنا منْ أهلِ النارِ، وجلسَ في بيتِه حزيناً باكياً ففقدَه رسولُ الله - عليه الصلاة والسلام- فسألَ عنهُ فحكَى لهُ ما يجدُ فبشَّره، وقالَ لهُ -ﷺ-: «بل أنتَ من أهلِ الجنةِ»[1].

وخفضُ الصوتِ عندَ رسولِ اللهِ -ﷺ- ليسَ في حياتِه فقطُ بلْ حتى بعدَ مماتِه، قالَ العلماءُ: يُكرهُ رفعُ الصوتِ عند قبرِه - عليه الصلاة السلام- كما يُكرهُ في حياتِه، وقد امتثلَ أصحابُ النبيّ -ﷺ- بهذا الأدبِ فعروةُ بنُ مسعودٍ الثقفيّ -رضي الله عنه- عندما كانَ كافرًا يصفُ حالَ أصحابِ النبيّ -ﷺ- معهُ فقالَ: إذا أمرَهم ابتدروا وإذا تكلَّم خفّضوا أصواتَهم عندَه، وما كانوا يحدُّونَ النظرَ إليهِ تعظيمًا لهُ، واللهِ لقدْ وفدتُ على الملوكِ: على قيصرَ وكسرى والنجاشيّ، واللهِ ما رأيتُ ملكاً يعظّمُه أصحابُه كما يعظّم أصحابُ محمدٍ محمداً[2].

جزاء الأدب مع النبي -ﷺ-:

ثم مَدَحَ اللهُ -تعالى- الصحابَةَ الكرامَ الذينَ تأدبوا في حضرةِ النبيّ -ﷺ- وخفّضوا أصواتَهم عندَه، فجعلَهم من عبادِه الذينَ أخلصَ اللهُ قلوبَهم للتقوى وبشَّرَهم ببشارةٍ عظيمةٍ

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.

ألا وهيَ قولهُ: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي الآيةِ وعدٌ للغاضّينَ أصواتُهم عندَ النبيّ -ﷺ- بغفرانِ الذنوبِ وبالثوابِ العظيمِ الذي لا يعرفُ مقدارَه إلا اللهُ تعالى.

وكانَ الأعرابُ -وهم قريبو عهدٍ بالجاهليةِ- أكثرُهم جُفَاةٌ يأتونَ إلى المدينةِ فيجتمعونَ عندَ حجُراتِ أزواجِ رسولِ اللهِ -ﷺ-، وينادونَه بأصواتِهم المزعجةِ: يا محمدُ يا محمدُ، اخرجْ إلينا، وقيلَ إنَّ الوفدَ وفدُ بني تميم، وكانَ هذا في العامِ التاسعِ من الهجرةِ وهو عامُ «الوفودِ» الذي سُمّيَ بذلكَ لدخولِ الناسِ في دينِ اللهِ أفواجاً، وكانَ ذلكَ يؤذي النبيَّ الكريمَ عليه الصلاة والسلام.

وعن زيدِ بنِ أرقم -رضي الله عنه- قالَ: أتى ناسٌ النبيَّ -ﷺ- وسلّموا فجعلوا ينادونَه وهوَ في الحجرةِ: يا محمدُ، يا محمدُ. فأنزلَ اللهُ تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1].

فأدَّبهم اللهُ بهذا القرآنِ الكريم، ووصَفَهم بأن أكثرَهم لا يعقِلونَ، ثم بيَّنَ لهمْ أنَّ النداءَ بهذا الجفاءِ منافٍ للأدبِ والتوقيرِ اللائقِ بشخصِ النبيّ الكريم عليه الصلاة والسلام، وعلَّمهم أنَّ الأفضلَ لهم أنْ يصبروا وينتظروا حتى يخرجَ إليهم، ثم أتبعَ ذلكَ قولهُ تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أيْ الغفورُ لذنوبِ العبادِ، الرحيمُ بالمؤمنينَ حيثُ اقتصرَ على نصحِهم وتقريعِهم، ولم يُنزلِ العقابَ بهمْ.

من هداية الآيات:

١ - تقديمُ الكتابِ والسنةِ على غيرِهما.

٢ - مكانةُ الرسولِ العاليةُ - عليه الصلاة والسلام -عندَ ربّه.

٣ - الأدبُ مع رسولِ اللهِ -ﷺ- حياً وميتاً.

٤ - الصحابةُ رضيَ الله عنهم نماذجُ رائعةٌ في الأدبِ مع رَسولِ اللهِ -ﷺ-.

(١) مجمع الزوائد للهيثمي.

الدرس التاسع والعشرون
التثبت من الأخبار
الآيات (٦ – ٨) من سورة الحجرات

قالَ تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
فَاسِقٌ	خارج عن حدود الدين
بِنَبَإٍ	خبر مهم
تُصِيبُوا	تتهموا
لَعَنِتُّمْ	شق عليكم

المعنى الإجمالي

كيف نتعاملُ معَ الخبرِ؟

يوجّهُ اللهُ تعالى المؤمنينَ إلى كيفيةِ التعاملِ مع الأخبارِ بصفةٍ عامةٍ، فيحثُّهم على التثّبتِ منها لاسيَّما الأخبارُ المهمةُ، ويطلبُ منهمْ عدمَ التسرعِ في تصديقِها بلْ طلبَ منهمُ التحقّقَ والتأكّدَ والتثبّتَ من صحّتِها حتى لا يتّهموا أحداً بما لم يصدرْ عنهُ، فيقعوا في الندمِ إذا اكتشفوا كذبَ الخبرِ، وبهذا التحقّقِ من صحّةِ الأخبارِ يعيشُ المجتمعُ المسلمُ في أمانٍ واطمئنانٍ، وفي بُعدٍ عن الندمِ والتحسّرِ على ما صدَر منه من أحكامٍ.

نعمُ اللهِ تعالى على المؤمنينَ:

وبعدَ هذا التوجيهِ ذكَرَ اللهُ تعالى عبادَه المؤمنينَ بنعمٍ كثيرةٍ أجلُّها: وجودُ رسولِ اللهِ -ﷺ- بينَهم فهو رؤوفٌ رحيمٌ بهمْ، عليمٌ بمصلحتهمْ ولو يطيعُهم في كثيرٍ من الأخبارِ والأحكامِ التي يريدونَ تنفيذَها لوقعوا في العَنَتِ والمشقةِ ولنَزَلَ بهمْ ما قدْ يؤدّي إلى هلاكِهم.

رحمةُ النبي -ﷺ-:

ولقدْ جسّدَ النبيُّ الكريمُ رحمتَه الفياضةَ عندما قال:«إنما أنا لكم بمنزلة الوالد»(١)، قالَ تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾(٢)، وهذهِ الرحمةُ هيَ التي دفعتْهُ -عليه الصلاة والسلام- إلى عدمِ الخروجِ لصلاةِ التراويحِ بعدما صلاَّها ثلاثَ ليالٍ فقال مجيبًا صحابتَه «خشيتُ أن تُفْرضَ عليكم»(٣).

من مظاهرِ نعمِ اللهِ تعالى وفضلِه أنَّه جعلَ الإيمانَ محببًا إليكم وحسَّنَه وجمَّلَه في قلوبِكم، وكَرَّه إليكم الكفرَ وكبائرَ الذنوبِ وجميعَ المعاصي. والراشدونَ: همُ الثابتونَ على دينِهم المهتدون إلى طريقِ الرشدِ.

ثم بيَّنَ أنَّ تلكَ النعمَ إحسانٌ من اللهِ تعالى وتفضُّلٌ منهُ، فهوَ سبحانَه عليمٌ بكلِّ شيءٍ حكيمٌ في كلِّ أقوالِه وأفعالِه. والإسلامُ - إذْ يرسُم للمؤمنينَ أمثلَ الطرقِ في تلقي الأخبارِ ويذكّرُ المسلمينَ بنعمهِ عليهمْ- إنّما يريدُ منهمْ شكرَهم للهِ تعالى ودوامَهم على طاعتِه.

من هداية الآيات:

١ - التثبّتُ هو منهجُ الإسلامِ في التحققِ من الأخبارِ.
٢ - الرسولُ الكريمُ -ﷺ- رحيمٌ بالأمةِ عليمٌ بمصالحِها.
٣ - محبةُ الإيمانِ في القلوبِ نعمةٌ منَ اللهِ تعالى.

(١) رواه أبوداود.
(٢) سورة التوبة: ١٢٨.
(٣) رواه البخاري.

الدرس الثلاثون
الإصلاح بين المتخاصمين
الآيات (٩- ١٠) من سورة الحجرات

قالَ تَعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
طَآئِفَتَانِ	جماعتان
تَفِىٓءَ	تعود وترجع
بَغَتْ	تعدت
ٱلْمُقْسِطِينَ	العادلين

سبب النزول

عنْ أنسٍ -رضي الله عنه- قالَ: قيلَ للنبيّ -صلى الله عليه وسلم- لَوْ أتيتَ عبدَالله بنَ أُبَيّ، فانطلقَ إليهِ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يركَبُ حماراً، وانطلقَ معهُ المسلمونَ يمشونَ فلمَّا أتاهُ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- قالَ لهُ عبدُالله بن أبيّ: «إليكَ عنّي فو اللهِ لقد آذاني ريحُ حمارِكَ»، فقالَ رجلٌ منَ الأنصارِ واللهِ لحمارُ رسولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أطيبُ ريحاً منكَ قالَ: فغضِبَ لعبدِاللهِ رجلٌ منْ قومهِ فشتمَهُ، فغضِبَ لكلِّ واحدٍ منهما أصحابُه، فكان بينَهم ضربٌ بالجريدِ والأيدِي والنعالِ فبلغَنَا أنَّه أُنزلتْ فيهم ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

(١) رواه البخاري وأحمد.

المعنى الإجمالي:

طرق الإصلاح بين المتخاصمين:

تُقَرّر الآيتانِ قاعدةً عامةً محكمةً لصيانةِ المجتمعِ المسلمِ من التفككِ والتفرقِ، وهذه القاعدةُ هيَ: (تعظيمُ حرماتِ المسلمينَ)، حيثُ يدعو اللهُ تعالى الأمةَ إلى الإصلاحِ بينَ المتخاصمينَ إذا وقعَ قتالٌ بينَ جماعتينِ منَ المؤمنينَ وعدمِ تركِ الخلافِ يتطورُ، والأمرُ في قولهِ تعالى ﴿فَأَصۡلِحُواْ﴾ يدلُ على وجوبِ الإصلاحِ بينهَما.

فيوجّهُ القرآنُ المؤمنينَ إلى ضرورةِ إجراءِ المصالحةِ بينهَما حقناً للدماءِ، فإنْ امتنعَتْ إحدى الطائفتينِ المتنازعتينِ عن الصلحِ فعلى المؤمنينَ قتالُها حتى تعودَ إلى أمرِ اللهِ فتقبلَ الصلحَ، والآياتُ عامةٌ تشملُ المسلمينَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ. فإذا قبلتِ الصلحَ ورجعتْ إلى حكمِ اللهِ، فيأمرُ بالإصلاحِ بينَ الطائفتينِ إصلاحاً متسماً بالعدلِ التامِ وبالقسطِ الكاملِ، لأنه تعالى يحبُّ المقسطينَ العادلينَ، وقد بيَّنَ الرسولُ -ﷺ- فَضْلَ العدلِ والقسطِ فقال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -عزَّ وجلَّ-»[1].

وعن أبي بكرةَ قالَ: خَطَبَ الرسولُ -ﷺ- يوماً ومعَهُ على المنبرِ الحسنُ بنُ عليّ فجعلَ ينظرُ إليه مرةً وإلى الناسِ أخرى ويقولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ»[2]، فكانَ كما قالَ عندما أصلحَ الحسنُ بينَ أهلِ الشامِ وأهلِ العراقِ.

والرسولُ -ﷺ- أَمَرَنا بنصرةِ المظلومِ والظالمِ فقال: «انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قلنا يا رسولَ اللهِ قدْ علمْنا كيف ننصرُه إذا كانَ مظلومًا فكيف ننصرُه إذا كان ظالمًا؟قال: تحجزُه أو تمنعُه من الظلم فذاكَ نصرُه»[3].

والآيةُ تبقي لكلتا الجماعتينِ وصفَ الإيمانِ على الرغمِ من القتالِ بينَهما، وبهذا استدلَّ العلماءُ على أنَّه لا يخرجُ المسلمُ عن الإيمانِ بالمعصيةِ وإنْ عظمتْ.

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري.

المؤمنون إخوة:

وضَّحتِ الآيةُ ضرورةَ الإصلاحِ بحقيقةٍ أكّدَها الإسلامُ ألا وهيَ الأخوّةُ بينَ المسلمينَ قالَ تَعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ فالمؤمنونَ إخوةٌ في الدّينِ والعقيدةِ، فهم يجمعُهم أصلٌ واحدٌ وهوَ الإيمانُ، كما يجمعُ الإخوةَ أصلٌ واحدٌ وهو النسبُ، وكما أنَّ أُخَّوةَ النسبِ داعيةٌ إلى التواصلِ والتراحمِ والتناصرِ في جلبِ الخيرِ ودفعِ الشرِ، فكذلكَ الأخّوةُ في الدِّينِ تدعوكم إلى التعاطفِ والتصالحِ، وإلى تقوى اللهِ وخشيتِه، ومتى تصالَحتُمْ واتقيتُم اللهَ -تعالى- كنتُم أهلاً لرحمتِهِ ومثوبتِه....قالَ رسولُ اللهِ -ﷺ-: «مثلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتراحمِهم كمثلِ الجسدِ الواحِدِ إذَا اشتكى منهُ عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالحُمَّى والسَّهر»[1].

وقالَ الشاعرُ - مُجَسِّدًا أخّوةَ الإسلامِ-:

أبـي الإســلامُ لا أبَ لـي سـواهُ إذا افـتـخُـروا بـقـيسٍ أو تميمِ

من هداية الآيات:

١ - ضرورةُ الإصلاحِ بينَ المتخاصمينَ.

٢ - أخوّةُ العقيدةِ أقوى الأواصرِ بينَ المسلمينَ.

٣ - العدلُ له أثرٌ على الفردِ والمجتمعِ.

(١) رواه مسلم.

الدرس الحادي والثلاثون
آداب المسلم
الآيات (١١ – ١٣) من سورة الحجرات

قالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
يَسۡخَرۡ	يستهزئ
تَلۡمِزُوٓاْ	تعيبوا بالقول أو الفعل
وَلَا تَجَسَّسُواْ	لا تتبعوا عورات بعضكم

المعنى الإجمالي:

الأمراضُ التي تدّمرُ المجتمعَ المسلمَ:

ما زلنا في رحابِ هذه القاعدةِ العظيمةِ وهي: (تعظيمُ حرماتِ المسلمينَ)، ولن يطهُرَ المجتمعُ إلا بالبعدِ عن هذهِ الأمراضِ الستِّ وهيَ:

١ - (السخريةُ) وتعني الاستهانةَ والتحقيرَ، والتنبيهَ على العيوبِ والنقائصِ إما بالقولِ أو الفعلِ أو الإشارةِ.

فلا ينبغي أنْ يسخرَ ويهزأَ المسلمُ بأخيهِ المسلمِ فقد يكونُ المسخورُ منه أرفعَ قدرًا عندَ اللهِ من الساخرِ، وكذلكَ لا تسخرُ نساءٌ مؤمناتٌ من أخواتِهنَّ المؤمناتِ فقد يكنَّ المسخوراتُ منهنَّ أرفعَ قدرًا عندَ اللهِ تعالى من الساخراتِ.

٢ - (اللَّمْزُ) وهو عيبُ الغيرِ باليدِ واللسانِ والعينِ والإشارةُ الخفيةُ وغيرُ ذلكَ.

فلا يعبْ بعضُكم بعضاً بأيّ وجهٍ من وجوهِ العيبِ، وعبّرَ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ كأنَّهم جميعاً نفسٌ واحدةٌ فإذَا عابَ المؤمنُ أخاهُ المؤمنَ فكأنَّه عابَ نفسَه.

٣ - (التنابزُ بالألقابِ) وهو التعايرُ والتداعي بالألقابِ المكروهةِ، قالَ أبوجبيرةَ بنُ الضحاكِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: كانَ الرجلُ منَّا يكونُ له الاسمانِ والثلاثةُ فيُدعى ببعضِها فعسى أن يَكْرَه ما دُعِيَ بهِ فنزلتْ هذهِ الآيةُ ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾[1]، فَمن أدبِ المؤمنِ ألا يسمّيَ أخاهُ، ولا يلقبُه، ولا يناديهِ إلا بما يحبُّ ويرتاحُ إليه قلبُه، فالنبيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد لقبَ أبا بكرٍ بالصّديقِ، ولقبَ عمرَ بالفاروقِ، ولقبَ عثمانَ بذي النورينِ، ولقبَ حمزةَ بأسدِ اللهِ، ولقبَ خالداً بسيفِ اللهِ المسلولِ رضيَ اللهُ عنهم.

وقولُه -تعالى-: ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ تعليلٌ للنهي عنْ هذهِ الرذائلِ، فإنّه مَنْ يفعلْها يفسقْ ويخرجْ من طاعةِ اللهِ.

وقولُه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أَيْ: ومَنْ لم يتُبْ عن ارتكابِ هذهِ الأمراضِ، فأولئكَ همْ الظالمونَ لأنفسِهم، لوقوعِهم فيمَا نهى اللهُ عنه.

٤ - سوءُ الظنِّ، قالَ تَعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ القرآنُ يطهّرُ النفوسَ من هواجسِ الظنونِ لأنَّ بعضَ الظنِّ إثمٌ، فقدْ حذَّرَ النبيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من سوءِ الظنّ، فقالَ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث... وكونوا عباد الله إخوانًا»[2].

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

٥ - (التجسسُ) وهو البحثُ عن العوراتِ والمعايبِ وكشفُ سترِ الناسِ، فقدْ حذَّرَ رسولُنا -ﷺ- من التجسسِ فقالَ: «لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عورات المسلمين، فضحه الله -تعالى- في قعر بيته»(١).

٦ - (الغيبةُ) وقد فسَّرَها الرسول -ﷺ- فقالَ: «أتدرون ما الغيبةُ؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قالَ: ذكرُكَ أخاكَ بما يكرهُ. قيلَ: أرأيتَ إنْ كان في أخي ما أقولُ؟ قال: إنْ كانَ فيه ما تقولُ فقدْ اغتبتَهُ، وإنْ لم يكنْ فيه ما تقولُ فقد بَهَتَّهُ»(٢).

وشبَّهَ الغيبةَ بأكلِ لحمِ المسلمِ ميتاً، المكروهِ للنفوسِ غايةَ الكراهةِ، وهذا تشبيهٌ بليغٌ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ خافوا اللهَ تعالى فيما أمرَكم بهِ ونهاكم عنه إنَّ الله توّابٌ على عبادِه المؤمنينَ رحيمٌ بهمْ.

العمل الصالح مقياس التفاضل بين الناس

ثم يبيّنُ -تعالى- أنَّ الناسَ جميعاً من أبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ، هما آدمُ وحواءُ، وجعلَهم جموعاً عظيمةً، شعوباً وقبائلَ متعددةً، ليتعارفوا ويتعاونوا على ما فيه خيرُهم وصلاحُهم، وليعلموا أنَّ أكرَمَهم عندَ اللهِ تعالى وأرفعَهم منزلةً في الدنيا والآخرةِ هو أتقاهُم، فاللهُ عليمٌ بهم خبيرٌ بأحوالِهم.

من هداية الآيات:

١ - الإسلامُ يحثُّ على الآدابِ الفاضلةِ.

٢ - الإسلامُ يصونُ حرماتِ الأشخاصِ وأعراضِهم.

٣ - ميزانُ التفاضلِ عندَ اللهِ التقوى والعملُ الصالحُ.

(١) رواه أبوداود.

(٢) رواه مسلم.

الدرس الثاني والثلاثون
حقيقة الإيمان
الآيات(١٤ – ١٨) من سورة الحجرات

قالَ تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٦ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٧ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
لَا يَلِتۡكُم	لا ينقصكم
يَرۡتَابُواْ	يشكوا
يَمُنُّونَ	المن تعداد النعم على الغير

المعنى الإجمالي:

الفرقُ بينَ الإيمانِ والإسلامِ

توضّحُ السورةُ الكريمةُ حقيقةَ الإيمانِ وأنَّهُ ليسَ كلامًا باللسانِ أو انقيادًا ظاهرًا فحسبُ، إنَّما هوَ قولٌ باللسانِ واعتقادٌ بالقلبِ وعملٌ بالجوارحِ فهوَ أعلى منْ مقامِ الإسلامِ، ولقد

حكَى القرآنُ مقالةَ بعضِ الأعرابِ الذينَ أسلموا باللسانِ فقط فظنُّوا أنَّهم بلغوا مقامَ الإيمانِ الكاملِ! فردَّ عليهمُ القرآنُ مصحِّحًا لهمْ فهمَهم: لا تدّعوا لأنفسِكم الإيمانَ الكاملَ فإنّكم لمّا تَصِلوا بعدُ إلى مرتبةِ الإيمانِ، قالَ الحسنُ البصريُّ: «ليسَ الإيمانُ بالتمنّي ولكنْ ما وقرَ في القلبِ وصدَّقَه العملُ»، فخاطبَ القرآنُ الأعرابَ موجّهاً لهم إلى طاعةِ اللهِ ورسولِهِ بإخلاصٍ وصدقٍ حتى لا يُنقصَ من ثوابِ أعمالِهم شيئاً، وهو- سبحانه - عظيمُ المسامحةِ لمن تابَ إليه واسعُ الرحمةِ لمن أنابَ.

والحاصلُ أنَّ الإسلامَ عندَ الإطلاقِ يشملُ الدينَ كلَّه ويدخلُ فيه الإيمانُ، وأمّا إذا اجتمعَ مع الإيمانِ فيفسّرُ الإسلامُ بالأعمالِ الظاهرةِ من أقوالِ اللسانِ وعملِ الجوارحِ، ويفسّرُ الإيمانَ بأعمالِ القلوبِ واعتقاداتِها، وقد بيَّنَها الرسولُ - عليه الصلاة والسلام - في حديثِ جبريلَ المشهورِ كما رواهُ عمرُ بنُ الخطابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- « بينمَا نحنُ جلوسٌ عندَ رسولِ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذاتَ يومٍ إذْ طلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشعرِ، لا يُرى عليه أثرُ السفرِ ولا يعرفهُ منا أحدٌ حتى أسندَ ركبتَيْه إلى ركبتَيْه ووضعَ كفّيَه على فخذَيْه وقالَ يا محمدُ: أخبرْني عن الإسلامِ، فقالَ رسولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:الإسلامُ أنْ تشهدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ وتقيمَ الصلاةَ وتؤتي الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتحجَّ البيتَ قال: فأخبرْني عن الإيمانِ قالَ: أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وتؤمنَ بالقدرِ خيرِه وشرِه»[1]، إذَنْ فكلُّ مؤمنٍ مُسْلمٍ وليسَ كلُّ مسلمٌ مؤمنًا، ومرتبةُ الإيمانِ أعلى من مرتبةِ الإسلامِ.

صفات المؤمنين:

ثم انتقلتِ الآياتُ لتبيّنَ صفاتِ المؤمنينَ الصادقينَ وهي:

١ - الإيمانُ باللهِ وحدهَ لا شريكَ له.

٢ - الإيمانُ بالرسولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

٣ - لم يشكُّوا في إيمانِهم.

(١) رواه مسلم.

٤ - يبذلونَ الأموالَ والأرواحَ جهادًا في سبيلِ اللهِ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ ونشرِ دينِه، فهؤلاءِ هُمُ الذينَ صدقوا في إيمانِهم.

وقد ردَّ اللهُ تعالى على قولِهم ﴿ءَامَنَّا﴾ بتوجيهِ النبيّ -ﷺ- قلْ لهم يا محمدُ أتخبرونَ اللهَ بما في ضمائرِكم وقلوبِكم؟ وهوَ تعالى العليمُ بجميعِ أحوالِ العبادِ لا تخفى عليهِ خافيةٌ في السماواتِ والأرضِ.

ومهما أخبرَ المسلمُ عن درجةِ إيمانِه فاللهُ سبحانَه وتعالى يعلمُ ما في قلوبِ عبادِه ولا تخفى عليهِ خافيةٌ، وقد حكَى اللهُ عن بعضِ الأعرابِ أنَّهم - كما زعموا أنّهم آمنوا - أخذوا يفتخرونَ ويمنّونَ على رسولِ اللهِ -ﷺ- قائلينَ: جئناكَ بالعيالِ والأثقالِ وأسلمْنا ولم نقاتلْك كما قاتلَك بنو فلانٍ، فردّ عليهم اللهُ مخاطبًا نبيَّه قلْ لهم أيُّها النبيُّ: لا تمنُّوا على الرسولِ بإسلامِكم فثمرةُ إيمانِكم يعودُ نفعُها عليكم، واللهُ - تعالى - صاحبُ المنّةِ والفضلِ ولولا هدايةُ اللهِ لكمْ ما أسلمتُمْ، وكانَ الرسولُ -ﷺ- يقولُ: «اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلّينا»[1].

والله تعالى يعلمُ غيبَ السماواتِ والأرضَ، وهو يَرَى ويبصرُ أعمالَكم وسيجازيكم عليها.

من هداية الآيات:

١ - الإسلامُ أعمالُ الجوارحِ، والإيمانُ أعمالِ القلوبِ.

٢ - المؤمنُ يبذلُ الغالي والنفيسَ في سبيلِ نصرةِ الإسلامِ.

٣ - هدايةُ اللهِ تعالى للناسِ منْ أعظمِ نعمهِ عليهمْ.

(١) رواه البخاري ومسلم.

بين يدي سورة (ق)

التعريفُ بالسورة الكريمة:

سورة (ق) الكريمة رقمُها في المصحفِ ٥٠، وعددُ آياتِها ٤٥ وهي مكيةٌ إلا الآيةُ ٣٨ مدنيةٌ، نزلتْ بعدَ سورةِ المرسلات.

وهي تعالجُ أصولَ العقيدةِ الإسلاميةِ «الوحدانيةَ، الرسالةَ، البعثَ» ولكنَّ المحورَ الذي تدورُ حولهَ السورةُ «البعثُ والنشورُ».

١ - ابتدأتِ السورةَ بالقضيةِ الأساسيةِ التي أنكرَها كفارُ قريشٍ، وهي قضيةُ الحياةِ بعدَ الموتِ، والبعثِ بعدَ الفناءِ.

٢ - لفتتِ السورةُ أنظارَ المشركينَ - المنكرينَ للبعثِ - إلى قدرةِ اللهِ العظيمةِ، في الكونِ وفي السماءِ والأرضِ، والماءِ والنبتِ، والثمرِ والطلعِ، والنخيلِ والزرعِ وكلُّها دلائلُ قاطعةٌ على قدرةِ العليِّ الكبيرِ.

٣ - انتقلتِ السورةُ الكريمةُ للحديثِ عن المكذبينَ للأممِ السابقةِ، وما حلَّ بهمْ منَ الكوارثِ وأنواعِ العذابِ، تحذيراً لكفارِ مكةَ منْ أنْ يحلَّ بهمْ ما حلَّ بالسابقينَ.

٤ - ثم انتقلتِ السورةُ للحديثِ عن سَكْرةِ الموتِ وهولِ الحسابِ، وما يلقاه المجرمُ في ذلكَ اليومِ العصيبِ من أهوالٍ وشدائدِ تنتهي بهِ إلى الجحيمِ.

٥ - وفي ختامِ السورةِ كانَ الحديثُ عن «صيحة الحق» وهيَ الصيحةُ التي يخرجُ الناسُ بها من القبورِ، ويساقونَ للحسابِ والجزاءِ لا يَخْفى على اللهِ منهم أحدٌ، وفيه إثباتٌ للبعثِ والنشورِ الذي كذَّب بهِ المشركونَ.

الدرس الثالث والثلاثون
آيات الله في الكون
الآيات (١ – ١١) من سورة (ق)

قالَ تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ۝١٠ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَّرِيجٍ	مختلط مضطرب
فُرُوجٍ	شقوق
بَاسِقَٰتٖ	طويلات شاهقات

المعنى الإجمالي:

الرسالة والبعث:

(ق) من الأحرفِ المقطّعةِ في أوائلِ السورِ، اللهُ أعلمُ بمرادِهِ منها والافتتاحُ بالحروفِ المقطّعةِ له فائدتينِ عظيمتينِ هما:

١ - لفتُ انتباهِ السامعِ، وذلكَ لأنَّ المشركينَ كانوا يعرضونَ عن الاستماعِ لآياتِ القرآنِ الكريمِ.

٢ - التحدّي والإعجازُ، فقد تحدّى اللهُ -عزَّ وجلَّ- المشركينَ أن يأتوا بمثلِ هذا الكتابِ العظيمِ المكوّنِ من مثلِ هذهِ الحروفِ المقطعةِ التي ذكرت في سورة الأحقاف.

وأقسمَ اللهُ تعالى بالقرآنِ الكريمِ ذي المجدِ والشرفِ لِما فيهِ من الخيرِ والبركةِ، على صِدقِ الرسولِ -ﷺ- وما جاءَ بهِ من الحقِّ، بلْ كانَ المشركونَ يتعجبونَ من أن يأتيَهم رسولٌ منَ البشرِ ينذرُهم عذابَ يومَ القيامةِ، وينذرُهم بالبعثِ بعدَ الموتِ، بعدَ أن تتحولَ أبدانُهم إلى ترابٍ، ويحاسبونَ على أعمالِهم، وهذا في رأيِهم أمرٌ مستحيلٌ حصولهُ، لأنَّهم لا يؤمنونَ بالبعثِ. قالَ تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾[1].

ثم يبطلُ اللهُ تعالى دعوى المشركينَ، ويقرّرَ عقيدةَ البعثِ، ببيانِ علمِ اللهِ سبحانَه الواسعِ الذي يحيطُ بكلِّ شيءٍ، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، حتى ما ستأكلُه الأرضُ من أبدانِهم وعظامِهم، وكلُّ شيء مكتوبٌ عندَه في اللوحِ المحفوظِ بلْ إنَّ هناكَ ما هوَ أقبحُ من إنكارِهم البعثَ ألا وهوَ تكذيبُهم بالقرآنِ الكريمِ وبالرسولِ -ﷺ-، فلذا همْ في أمرٍ مختلطٍ، فقالوا مرةً في الرسولِ -ﷺ- إنّه ساحرٌ، وقالوا شاعرٌ، وقالوا كذّابٌ، وقالوا في القرآنِ الكريمِ بأنّه أساطيرُ الأولينَ فهمْ لا يدرونَ ما يقولونَ.

من أدِّلة البعث

وقد ضلَّ هؤلاءِ المشركونَ حين كفروا بالبعثِ، فلم ينظروا إلى السماءِ فوقَهم، كيفَ بنيناها مستويةَ الأرجاءِ، ثابتةَ البناءِ، وزيّناها بالنجومِ، وما لها من شقوقٍ، فهي سليمةٌ من التفاوتِ والعيوبِ، والأرضَ وسَّعْناها وفرشْناها، وجعلْنا فيها جبالاً ثابتةً؛ لئلا تميلَ بأهلِها، وأنبتْنا فيها من كلِّ نوعٍ حسنِ المنظرِ نافعٍ، يَسُرُّ ويبهجُ الناظرَ إليه وهذا كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١﴾[2].

(١) سورة الحج: ٧.
(٢) سورة الغاشية: ١٧-٢١.

وقد خلقَ اللهُ تعالى السماواتِ والأرضَ وما فيهما من الآياتِ العظيمةِ عبرةً ودليلاً وذكرى لكلِّ عبدٍ خاضعٍ خائفٍ وَجِلٍ، كثيرِ الرجوعِ إلى اللهِ -عزَّ وجلَّ- قالَ تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[1].

ونزَّلنا من السماءِ مطرًا كثيرَ المنافعِ، فأنبتْنا بهِ بساتينَ كثيرةَ الأشجارِ، وحبَّ الزرعِ المحصودَ، وأنبتْنا النخلَ طِوالاً لها طلْعٌ متراكبٌ بعضُه فوقَ بعضٍ، أنبتنا ذلكَ رزقًا للعبادِ يقتاتونَ بهِ حسْبَ حاجاتِهم، وأحيينا بهذا الماءِ الذي أنزلناهُ منَ السماءِ بلدةً قد أجدبتْ وقحَطَتْ، فلا زرعَ فيها ولا نباتَ، وكما أحيينا بذلكَ الماءِ الأرضَ الميتةَ كذلكَ نخرجُكم يومَ القيامةِ أحياءً بعدَ الموتِ.

من هداية الآيات:

١ - التحدّي والإعجازُ ولفتُ انتباه السامعِ من فوائدِ الحروفِ المقطّعةِ.

٢ - بيانُ شرفِ القرآنِ الكريمِ.

٣ - تقريرُ عقيدةِ البعثِ والجزاءِ.

٤ - مظاهرُ قدرةِ اللهِ في الكونِ دليلٌ واضحٌ على صحةِ البعثِ والجزاءِ.

(١) سورة غافر: ٥٧.

الدرس الرابع والثلاثون
جزاء المكذبين للرسل
الآيات (١٢-١٩) من سورة (ق)

قالَ تَعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ	ما تتحدث به نفسه من خواطر
حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ	هو عِرْق في العنق متصل بالقلب
تَحِيدُ	تهرب منه

المعنى الإجمالي:

تسلية الله تعالى لرسوله -ﷺ-:

تبدأُ الآياتُ الكريمةُ بالحديثِ عن المكذبينَ منَ الأمم السابقةِ وذلكَ لتسليةِ الرسولِ -ﷺ- وهم قومُ نوحٍ، وهي أولُ أمةٍ كذبتْ رسولَها، وأصحابُ الرَسّ وهمْ أصحابُ البئرِ قد أخذوا نبيَّهم وألقوه فيها فقتلوه فأهلكَهم اللهُ تعالى، وأهلكَ ثمودَ وهمْ قومُ صالحٍ عليه السلامُ، وأهلكَ عاداً وهمْ قومُ هودٍ، وفرعونُ الذي كذَّبَ موسى -عليهِ السلامُ- أهلكَه اللهُ

بالغرقِ، وأهلكَ أيضاً قومَ لوطٍ، وأصحابُ الأيكةِ وهوَ الشجرُ الملتفُّ وهمْ قومُ شعيبٍ عليهِ السلامُ، وقومُ تُبَّعٍ وهوَ تبّعُ الحِمْيَريّ اليمنيّ، فكلُّ هؤلاءِ الأقوامُ كذَّبوا الرسلَ ولم يؤمنوا بهمْ، ولا بما جاؤوا به من التوحيدِ، فوجبَ عليهمُ العذابَ الذي توعَّدَهم اللهُ به على ألسنة الرسل بسبب كفرِهم، قالَ تَعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾[1].

ثم دلَّل اللهُ سبحانَه وتعالى على قدرته على بعثِ الناسِ من قبورِهم وحشرِهم للحسابِ والجزاءِ بقوله ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ﴾ أي أفَعَجَزْنا عن ابتداعِ الخلقِ الأولِ الذي خلقناه ولم يكنْ شيئًا، أفنعجزُ عن إعادتِهم خلقًا جديدًا بعدَ فنائِهم؟ لا يعجزُنا ذلكَ، بل اللهُ سبحانَه قادرٌ عليه، لأنَّ إعادةَ الخلقِ أهونُ منَ البدايةِ، قالَ تَعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾[2]، ولكنَّهم في حَيْرةٍ وشكٍ من أمرِ البعثِ والنشورِ.

الملائكة تسجل الأعمال:

ولقد خلقنا الإنسانَ، ونعلمُ ما تُحَدِّثُ به نفسُه، أيْ ما تتحدثُ به نفسُه من إراداتٍ وخواطرَ، ونحنُ أقربُ إليهِ من عرقِه الذي في عنقِه، وذلكَ حينَ يكتبُ المَلَكانِ المترصدانِ عن يمينِه وعن شمالِه سائرَ أقوالِه وأعمالِه، فالذي عن اليمينِ يكتبُ الحسناتِ، والذي عن الشمالِ يكتبُ السيئاتِ. وما يقولُ الإنسانُ من قولٍ، فيتكلمُ به إلا لديه مَلَكٌ رقيبٌ حفيظٌ، يرقبُ قولَه ويكتبُه، ومَلَكٌ عتيدٌ حاضرٌ مُعَدٌّ لذلكَ، لا يفارقانِه مدى الحياةِ.

ومهما طالَ عمرُ الإنسانِ فلابدَّ من الموتِ، وها هي جاءَتْ شدةُ الموتِ الذي لاشكَّ فيه ولا باطلَ معهُ ولا مردَّ له حتى يراه مَنْ كان ينكرُ البعثَ والدارَ الآخرةَ، فيُقالُ لهُ: هذا الموتُ الذي كنتُ منه تهربُ وتفزعُ، قالَ تَعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

(١) سورة فاطر: ٤.
(٢) سورة الروم: ٢٧.
(٣) سورة النحل: ٢٤.

من هداية الآيات:

١ – تسليةُ الرسولِ –ﷺ–.

٢ – العذابُ هو جزاءُ المصرّينَ على الشركِ.

٣ – تقريرُ عقيدةِ البعثِ والجزاءِ.

٤ – قدرةُ اللهِ وعلمُه أقربُ للإنسانِ من حبلِ الوريدِ.

٥ – لكلِّ إنسانٍ ملكانِ مكلّفانِ بكتابةِ الأعمالِ.

٦ – مهما طالَ عمرُ الإنسانِ لابدَّ منَ الموتِ.

الدرس الخامس والثلاثون
من مشاهد يوم القيامة
الآيات (٢٠ – ٣٥) من سورة (ق)

قالَ تَعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ	أي ما يغير القول
أَوَّابٍ	رَجَّاعٌ إلى طاعة الله –عزَّ وجلَّ–، كلما ترك طاعة عاد إليها
وَأُزۡلِفَتِ	قُرّبتْ

المعنى الإجمالي:

مشاهدُ يومِ القيامةِ (المشهد الأول) البعثُ والنشورُ:

يخبرُ اللهُ تعالى في الآياتِ عن أهوالِ البعثِ والحشرِ والحسابِ، حيثُ يأذنُ بقيامِ الناسِ من

قبورِهم، فيأمرُ إسرافيلُ عليه السلام بأنْ ينفخَ في البوقِ نفخةَ البعثِ، وهذا هوَ يومُ الحسابِ الذي وَعَدَ اللهُ بهِ.

وفي هذا اليومِ يأتي كلُّ إنسانٍ ومعَه مَلَكانِ، أحدُهما يسوقُه إلى المحشرِ، والآخرُ يشهدُ عليه بما عملَ في الدنيا من خيرٍ أو شرٍّ.

ثُمّ يقالُ لهُ لقد كنتَ أيّها الإنسانُ في غفلةٍ من هذا الذي عاينْتَ اليومَ، فأزلْنا عنكَ الحجابَ الذي كانَ على قلبِك وسمعِك وبصرِك في الدنيا، فزالتْ الغفلةُ عنكَ، فبصرُك اليومَ فيما تشهُد من البعثِ والجزاءِ قويٌّ شديدٌ، ترى به ما كانَ محجوباً عنكَ.

المشهدُ الثاني الملائكةُ تسوقُ الناسَ إلى المحشرِ:

وقالَ المَلَكُ الكاتبُ الشهيدُ عليهِ: هذا الذي وكّلتَني بهِ من بني آدمَ قد أحضرْتُه وأحضرْتُ ديوانَ عملِه، وهو لديَّ مُعَدٌّ محفوظٌ حاضرٌ.

يقولُ اللهُ تعالى للمَلَكينِ السائقِ والشهيدِ بعدَ أَنْ يفصلَ بينَ الخلائقِ: ألقيا في جهنَّمَ كلَّ جاحدٍ باللهِ تعالى معاندٍ للحقِّ، منَّاعٍ لأداءِ ما عليه من الحقوقِ في مالِه، مُعْتدٍ على عبادِ اللهِ وعلى حدودِه، شاكٍّ في وعدِه ووعيدِه، مشركٍ باللهِ، فألقياهُ في عذابِ جهنّمَ الشديدِ.

المشهدُ الثالث يتبرأ الشيطان من أتباعه:

قالَ شيطانُه الذي كان معَه في الدنيا: ربَّنا ما أضللْتُه، ولكنَّه كانَ في طريقٍ بعيدٍ عنْ سبيلِ الهدى، وضلَّ باختيارِه، وآثرَ الكفرَ على الإيمانِ.

المشهد الرابع الفصلُ بينَ المتخاصمينَ:

قالَ اللهُ تعالى: لا تختصموا لديَّ اليومَ في موقفِ الجزاءِ والحسابِ ؛ إذْ لا فائدةَ من الخصامِ والجدالِ، وقد سبقَ أنْ أنذرتُكم على ألسنةِ الرسلِ بعذابي، وحذّرتُكم شديدَ عقابي،

فلم تنفعْكم الآياتُ والنذرُ فما يُغيَّرُ كلامي، ولا يُبَدّلُ حكمي بعقابِ الكفرةِ المجرمينَ، ولستُ أعذِّبُ أحدًا بذنبِ أحدٍ، بعدَ قيامِ الحجّةِ عليه.

المشهد الخامس جهنم جزاء الكافرين:

اذكرْ -أيُّها الرسولُ -ﷺ- لقومِك ذلكَ اليومَ الرهيبَ وهوَ يومُ القيامةِ، يومَ يقولُ اللهُ تعالى لجهنَّمَ: هل امتلأتِ؟ وتقولُ جهنَّمُ: هلْ من زيادةٍ من الجنِّ والإنسِ؟ قالَ رسولُ الله -ﷺ-: «لا تزالُ جهنمُ يلقى فيها وتقولُ هل من مزيدٍ، حتى يضعَ ربُّ العزةِ فيها قدمَه، فتقولَ قطِ قطِ، وعزّتِك وكرمِك وينزوِيْ بعضُها إلى بعضٍ»(١).

المشهد السادس الجنة دار المتقين:

ثم تنتقلُ الآياتُ لذكرِ مشهدٍ آخرَ من مشاهدِ البعثِ، وهوَ نعيمُ المتقينَ، والمتقونَ همُ الذينَ اتقوا اللهَ تعالى بفعلِ الفرائضِ كالصلاةِ والزكاةِ، وتركِ الشركِ والمعاصي، فالجنةُ تقربُ وتدنو منهمْ، حتى يشاهدوها زيادةً في الإكرامِ والمسرَّةِ لهم.

وحينئذٍ يُقالُ لهمْ: هذا الذي كنتمْ توعدونَ بهِ - أيُّها المتقونَ - لكلِّ تائبٍ مِن ذنوبِه، حافظٍ لكلِّ ما قَرَّبه إلى ربِّه من الفرائضِ والطاعاتِ، وهو مَن خافَ اللهَ في الدنيا ولقيَه يومَ القيامةِ بقلبٍ تائبٍ من ذنوبِه. ويُقالُ لهؤلاءِ المؤمنينَ: ادخلوا الجنةَ دخولاً مقرونًا بالسلامةِ من الآفاتِ والشرورِ، مأمونًا فيهِ من جميعِ المكارهِ، سالمينَ فيها من كلِّ مخوفٍ كالموتِ والمرضِ والألمِ والحزنِ ذلكَ هوَ يومُ الخلودِ بلا انقطاعٍ.

ولهؤلاءِ المؤمنينَ في الجنةِ ما يريدونَ وما يشاؤونَ، أي ما تشتهيهُ أنفسُهم وتتلذذه أعينُهم، ولهمْ زيادةٌ في النعيمِ، وهو النظرُ إلى وجهِ اللهِ الكريمِ، قالَ رسولُ الله -ﷺ-: قالَ اللهُ تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»(٢).

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

من هداية الآيات:

١ – أهلُ النارِ يتخاصمونَ عنَد رؤيتِهم للعذابِ.

٢ – جزاءُ المشركينَ نارُ جهنمَ.

٣ – الجنةُ وما فيها من نعيم جزاءُ المؤمنينَ المتقينَ.

٤ – أكبرُ نعيمٍ في الجنةِ النظرُ إلى وجهِ اللهِ الكريم.

الدرس السادس والثلاثون
دروس وعبر من أخبار الأمم السابقة
الآيات (٣٦ – ٤٥) من سورة (ق)

قالَ تَعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
مَّحِيصٍ	مهرب
مِن لُّغُوبٍ	من نصب وتعب
ٱلصَّيْحَةَ	نفخة البعث

المعنى الإجمالي:

إهلاك الأمم السابقة:

يخبرُ اللهُ تعالى رسولَه -ﷺ-، أَنّ هلاكَ هؤلاءِ المشركينَ على اللهِ يسيرٌ، فكَمْ أهلكَ اللهَ تعالى أممًا كثيرةً سبقتْ كفارَ قريشٍ، كانوا أشدَّ منهم قوةً، ولمَّا جاءَهم العذابُ فرُّوا في

البلادِ يبحثونَ عن مكانٍ يلجؤون إليه يحميهم وينجّيهم من العذابِ ولكنْ لا مفرَّ.

فاللهُ تعالى يذكرُ هذه القصصَ للعظةِ والعبرةِ، ففي إهلاكِ القرونِ الماضيةِ لَعبرةٌ لمَنْ كانَ له قلبٌ يعقلُ بهِ أو أصغَى السمعَ، وهو حاضرٌ بقلبهِ، غيرُ غافلٍ ولا ساهٍ.

خلق السماوات والأرض:

ولقدْ خلقَ اللهُ سبحانَه السماوات السبعَ والأرضَ وما بينَهما من أصنافِ المخلوقاتِ في ستةِ أيام، أولُها الأحدُ وآخرُها الجمعةُ، وما أصابَه سبحانَه من ذلكَ الخَلْقِ تَعَبٌ ولا نَصَبٌ، فهو يقولُ للشيءِ كنْ فيكونَ، وفي هذهِ القدرةِ العظيمةِ دليلٌ على قدرتِه -سبحانَه- على إحياءِ الموتى.

الأمر بالصبر والصلاة:

ثم يأمرُ اللهُ تعالى رسولَه -ﷺ- بالصبرِ على ما يقولُه المكذبونَ، فإنّه لهمْ بالمرصادِ، وأن يستعينَ على الصبرِ بالصلاةِ والتسبيحِ حامدًا للهِ تعالى، وأن يصلي الصبحَ قبلَ طلوعِ الشمسِ ويصلي العصرَ قبلَ الغروبِ، ويقيمَ الليلَ، ويسبِّحَ بحمدِ ربِّه عقبَ الصلواتِ، وقد كانَ النبيّ -ﷺ- إذا حَزبَه أمرٌ فزِع إلى الصلاةِ، وكانَ النبيُّ -ﷺ- يقولُ: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة»[1].

إحياء الموتى:

ثمّ يخاطبُ اللهُ تعالى الرسولَ -ﷺ- بقولِه: واستمعْ -أيُّها الرسولُ- يومَ ينادي اسرافيلُ بنفخِه في «القرنِ» من مكانٍ قريبٍ منَ السماءِ، يومَ يسمعونَ صيحةَ البعثِ بالحقِّ الذي لا شكَّ فيهِ، ذلكَ يومُ خروجِ أهلِ القبورِ وهيَ النفخةُ الثانيةُ.

(١) رواه أبوداود.

فاللهُ تعالى يحيي الخَلْقَ ويميتُهم في الدنيا، وإليهِ مصيرُهم جميعًا يومَ القيامةِ للحسابِ والجزاءِ، يومَ تتصدَّعُ الأرضَ عن الموتى المقبورينَ بها، فيخرجونَ للحسابِ، ذلكَ الجمعُ في موقفِ الحسابِ على اللهِ سهلٌ يسيرٌ، قالَ تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[1].

واللهُ تعالى أعلمُ بما يقولُ هؤلاءِ المشركونَ مِن افتراءٍ على اللهِ وتكذيبٍ بآياتِه، وما أنتَ -أيُّها الرسولُ- عليهم بذي قوةٍ وقدرةٍ فائقةٍ ؛ لتجبرَهمْ على الإسلامِ، وإنّما بُعِثْتَ مبلِّغًا ومذكراً، فذكِّرْ بالقرآنِ مَنْ يَخْشى وعيدي؛ لأنَّ مَن لا يخافُ الوعيدَ لا يُذَّكرُ، ولا يَخافُ وعيدَ اللهِ تعالى إلا المؤمنونَ الصادقونَ.

فائدة:

الصبرُ ثلاثةُ أنواعٍ:

١ – صبرٌ على طاعةِ اللهِ تعالى.

٢ – صبرٌ عن معصيةِ اللهِ تعالى.

٣ – صبرٌ على قضاءِ اللهِ تعالى.

من هداية الآيات:

١ – في ذكرِ قصصِ الأممِ السابقةِ العظةُ والعبرةُ.

٢ – أهلكَ اللهُ المكذبينَ من قَبْلِ كفارِ قريشٍ وهم أكثرُ قوةً.

٣ – وجوبُ الصبرِ والاستعانةِ عليه بالصلاةِ والتسبيحِ والذكرِ.

٤ – البعثُ للجزاءِ من مشاهدِ يومِ القيامةِ.

(١) سورة الزلزلة.

بين يَدَيْ سورة الذاريات

التعريف بالسورة الكريمة

سورةُ الذارياتِ الكريمةُ رقمها في المصحف ٥١، وعدد آياتها ٦٠، نزلت بعد الأحقاف

وهي من السورِ المكيةِ التي تقومُ على تشييدِ دعائمِ الإيمانِ وتوجيهِ الأبصارِ إلى قدرةِ اللهِ الواحدِ القهارِ وبناءِ العقيدةِ الراسخةِ.

١ - ابتدأتِ السورةُ الكريمةُ بالحديثِ عن الرياحِ التي تذرو الغبارَ وتسيّرُ المراكبَ في البحارِ، وعن السحبِ التي تحملُ مياهَ الأمطارِ وعن السفنِ الجاريةِ على سطحِ الماءِ بقدرةِ الواحدِ الأحدِ، وعن الملائكةِ الأطهارِ المكلفينَ بتدبيرِ شؤونِ الخلقِ، وأقسمَ اللهُ تعالى بهذهِ الأمورِ الأربعةِ على أَنَّ الحشرَ كائنٌ لا محالةَ وأنّه لابدَّ من البعثِ والجزاءِ.

٢ - وتحدثتِ الآياتُ عن كفارِ مكةَ المكذبينَ بالقرآنِ وبالدارِ الآخرةِ مبيّنةً حالَهم في الدنيا ومآلَهم في الآخرةِ حيثُ يعرضونَ على جهنمَ ويذوقونَ عذابَها ونكالَها.

٣ - وتحدثتِ الآياتُ عن المؤمنينَ المتقينَ، وما أعدَّ اللهُ لهم منَ النعيمِ المقيمِ والكرامةِ في الآخرةِ لأنّهم كانوا في الدنيا محسنينَ، على طريقةِ القرآنِ في الترغيبِ والترهيبِ.

٤ - وختمتِ السورةُ بدلائلِ قدرةِ اللهِ تعالى ووحدانيتِه في الكونِ الفسيحِ في سمائِه وأرضِه، وجبالِه وفي خلقِه للإنسانِ في أبدعِ صورةٍ وأجملِ تكوينٍ.

الدرس السابع والثلاثون
الساعة حق لا ريب فيها
الآيات (١ – ٦) من سورة الذاريات

قالَ تَعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ ﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
وَٱلذَّٰرِيَٰتِ	الرياح
فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ	السحب
فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ	السفن
فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا	الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه

المعنى الإجمالي:

البعث آت لا محالة:

بدأتْ سورةُ الذارياتِ بقَسمِ اللهِ تعالى بالرياحِ التي تذرو الترابَ فتفرّقُه وتحملُه من مكانٍ إلى مكانٍ، وأقسمَ ثانياً بالسُّحبِ التي تحملُ الماءَ الكثيرَ الذي ينفعُ اللهَ به البلادَ والعبادَ، ثمّ أقسمَ ثالثاً بالسفنِ التي تجري في الماءِ جرياً سهلاً، وقيل: هيَ النجومُ التي تجري في أفلاكِها، فتتزينُ بها السماواتُ ويُهتدى بها في ظلماتِ البرِّ والبحرِ، ثم أقسمَ رابعاً بالملائكةِ التي تقسّمُ الأمرَ وتدبّرُه بإذنِ اللهِ تعالى، حيثُ جعلَهم اللهُ تعالى على تدبيرِ أمورِ الدنيا والآخرةِ.

وفي تفسيرِ الصحابةِ رضيَ الله عنهم سُئِل عليٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ قال الرياحُ، وعن ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ قال السحابُ، ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ قال السفنُ، وعن ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ قال الملائكةُ[1].

وقد أقسمَ اللهُ تعالى بهذهِ المخلوقاتِ على أنْ وعدَه صدقٌ وأنَّ الدينَ الذي هو يومُ الجزاء والمحاسبةِ على الأعمالِ لواقعٌ لا محالةَ، قالَ تعالى ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾[2].

فلِمَ يكذبُ به المكذبونَ، ويعرضُ الناسُ عن العملِ له؟!

فائدة ١:

أقسمَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- بهذه المخلوقاتِ:

أولاً: لشرفِها وعظمِها.

ثانياً: ولمَّا جعلَ اللهُ تعالى فيها من المصالحِ والمنافعِ للعبادِ.

ثالثاً: ولما فيها من الدلالةِ على عجيبِ صنعِه وقدرتِه.

فائدة ٢:

للهِ تعالى أن يقسمَ بما شاءَ من مخلوقاتِه فهو مالكُ الملكِ سبحانَه وتعالى، وأمّا الإنسانُ فلا يجوزُ أن يقسمَ إلا باللهِ تعالى، قالَ رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا تحلفوا بآبائِكم ومَنْ كانَ حالفاً فليحلفِ بالله»[3]، وقالَ رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «مَنْ حَلفَ بغيرِ اللهِ فقد أشركَ»[4]، وقالَ رسولُ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ حلفَ منكم فقالَ في حَلفِه: «باللاتِ والعزّى فليقلْ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، ومَنْ قَال لأخيه: تعالَ أقامرْك فليتصدّقْ»[5].

---

(١) صحيح البخاري.
(٢) سورة الواقعة, ١-٢.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أحمد والترمذي.
(٥) رواه مسلم.

من هداية الآيات:

١ – كلُّ ما في الكونِ مُسخّرٌ لخدمةِ الإنسانِ.

٢ – للهِ –عزَّ وجلَّ– أن يقسمَ بما شاءَ من مخلوقاتِه.

٣ – تقريرُ عقيدةِ البعثِ والجزاءِ.

٤ – الحلفُ بغيرِ اللهِ من ملكٍ أو نبيٍّ أو وليٍّ أو مخلوقٍ ما، من المخلوقاتِ مُحرّمٌ.

الدرس الثامن والثلاثون
تكذيب الكفار بيوم القيامة
الآيات (٧ - ١٤) من سورة الذاريات

قالَ تَعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
ٱلْحُبُكِ	محكمة التركيب
يُؤْفَكُ	يصرف
قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ	لعن الكذابون
غَمْرَةٍ	جهل
سَاهُونَ	غافلون
يُفْتَنُونَ	يعذبون

المعنى الإجمالي:

القلبُ الضّال مصروفٌ عن الحقّ:

يقسمُ الله -عزَّ وجلَّ- بعدَ ذلكَ بالسماءِ ذاتِ الطرائقِ المحكمةِ والبيانِ المتقنِ قالَ ابنُ عباسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: ذاتِ الحبكِ أي ذاتِ الجَمال والبهاءِ والحُسْنِ والاستواءِ.

وجوابَ القسمِ: إنكم أيُّها الكفارُ لفي قولٍ مضطربٍ في أمرِ محمدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فمنكم مَنْ

يقولُ إنَّه ساحرٌ ومنكم مَنْ يقولُ إنه شاعرٌ وبعضَكم يقولُ إنّه مجنونٌ إلى غيرِ ما هنالكَ من أقوالٍ مختلفةٍ، وقال قتادةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:(إنكم لفي قولٍ مختلفٍ ما بينَ مصدّقٍ بالقرآنِ ومكذبٍ بهِ).

وهذا الاختلافُ دالٌّ على حيرتِهم وأنَّ ما همْ عليهِ باطلٌ، كما أنَّ الحقَّ الذي جاءَ به محمدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- متفقٌ يصدّقُ بعضُه بعضاً لا تناقضَ فيه ولا اختلاف، وذلك دليلٌ على صحتهِ وأنّه من عندِ اللهِ تعالى فلو كانَ منْ عندِ غيرِ اللهِ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.قالَ تَعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1] .

وهذا الاختلافُ في كلامِكم يضلُّ بسببِه مَنْ ابتعدَ عن الإيمانِ وانصرفَ قلبُه عن أدلةِ اللهِ الواضحةِ وبراهينِه الساطعةِ.

المكذّبون بالبعثِ ملعونونَ:

ثمّ بعدَ ذلكَ لعنَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- الكذابينَ الذين كذَبوا على اللهِ بإنكارِهم البعثَ، وكذبوا على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فادعوا أنَّه كاذبٌ وشاعرٌ وساحرٌ، وكذّبوا القرآنَ فقالوا عنه أساطيرُ الأولينَ قاتلَهم اللهُ أنّى يُؤفكونَ.

قال ابن الأنباريّ: (والقتلُ إذا أَخْبرَ اللهُ بهِ فهو بمعنى اللعنةِ لأنَّ مَنْ لعنه اللهُ تعالى فهو بمنزلةِ المقتولِ الهالكِ).

وحالُ أولئكَ الكذابينَ المكذبينَ أنهم غافلونَ لاهونَ عنْ الآخرةِ ويقولونَ تكذيباً واستهزاءاً واستبعاداً متى يومُ الحسابِ؟ وهم يسألونَ ويستعجلونَ يومَ القيامةِ وما علموا بعظيم أهوالِه ولا عملوا للنجاةِ من شدّتِه ولا جَهزوا له عُدَّةً حتى ينجوا من عذابِ اللهِ تعالى، فيردُّ اللهُ -عزَّ وجلَّ- عليهم أنَّ هذا الجزاءَ متحققٌ لهمْ في ذلك اليومِ حيثُ يدخلونَ جهنمَ ويحرقونَ بها ويعذبونَ فيها، ثم تقولُ لهم خزنةُ النارِ استهزاءً وتوبيخاً وتصغيراً: ذوقوا جزاءَكم الذي كنتمْ تستعجلونَه في الدنيا.

(١) سورة النساء: ٨٢.

من هداية الآيات:

١ – يقسمُ اللهُ –عزَّ وجلَّ– بما شاءَ من مخلوقاتِه.

٢ – ضرورةُ الانتباهِ إلى خطرِ الغفلةِ.

٣ – الباطلُ مضطرب متفرقٌ والحقُّ يصدّقُ بعضُه بعضاً.

٤ – النارُ مثوى المكذبينَ للرسلِ عليهم السلام.

٥ – كلُّ ما حولَك من صنعِ اللهِ القديرِ.

الدرس التاسع والثلاثون
صفات المتقين
الآيات (١٥-٢٣) من سورة الذاريات

قالَ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
يَهْجَعُونَ	ينامون قليلاً بالليل
وَبِٱلْأَسْحَارِ	وقت قبيل الفجر
وَٱلْمَحْرُومِ	الشخص المحتاج الذي لا يسأل الناس لتعففه
ءَايَٰتٌ	دلالات

المعنى الإجمالي:

جزاء المحسنين:

لمَّا ذكرَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- حالَ الكفارِ وهو أنَّهم على النارِ يُفتنون، ذكرَ ثوابَ ومآلَ المؤمنينَ الأبرارِ قالَ تَعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ فهم يتنعّمونَ في الجنانِ والبساتينِ وفيها عيونٌ جاريةٌ، والجنانُ مشتملةٌ على جميعِ أصنافِ الأشجارِ والفواكهِ التي لا يوجدُ لها نظيرٌ، ففيها مالا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، ويتنعمونَ في العيونِ التي يشربُ منها

عبادُ الله سبحانَه وتعالى وأما قولُه تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي راضينَ بهِ قد قَرَّتْ بهِ أعينُهم وفَرِحتْ به نفوسُهم، ولم يطلبوا منه بدلاً ولا يبغون عنها حولاً، وكلٌ قد نالَه من النعيمِ مالا يطلبُ عليه المزيدُ.

وهَذا الجزاءُ لأنَّهم كانوا بالدنيا محسنينَ وقد أحسنوا في:

١ - عبادتِهم للهِ -عزَّ وجلَّ- فكانوا كما قال -ﷺ-: «الإحسانُ: أن تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّه يراك»(١).

٢ - وأحسنوا إلى عبادِ اللهِ تعالى ببذلِ النفعِ والإحسانِ من مالٍ أو علمٍ أو نصيحةٍ أو أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن منكرٍ أو غيرِ ذلكَ من وجوهِ البرِّ.

من صفاتِ المحسنينَ:

الصفة الأولى: قيام الليل:

فمنْ أفضلِ أنواعِ الإحسانِ في عبادةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- صلاةُ الليلِ الدالةُ على الإخلاصِ واتفاقُ القلبِ واللسانِ، وهؤلاءِ المحسنونَ كان نومُهم بالليلِ قليلاً، يصلّونَ أكثرَه لربّهم قانتينَ خاشعينَ. قال رسول الله -ﷺ-:«يا أيُّها الناسُ، أطعموا الطعامَ، وصلوا الأرحامَ، وأفشوا السلام، وصلّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلام»(٢).

الصفة الثانية: الاستغفارُ بالأسحارِ:

ففي أواخرِ الليلِ يستغفرونَ اللهَ من تقصيرِهم -وللاستغفارِ بالأسحارِ فضيلةٌ وخاصيةٌ ليستْ لغيرِه- فهمْ مع إحسانِهم يعدّونَ أنفسَهم مذنبينَ ولذلكَ يكثرونَ من الاستغفارِ بالأسحارِ وقد ثَبَتَ في الصِّحاحِ وغيرِها عن جماعةٍ من الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم: عنْ رسولِ اللهِ -ﷺ- أنَّه قالَ: «إنّ اللهَ تعالى ينزلُ كلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا، حينَ يبقى ثلثُ الليلِ الأخيرُ، فيقولُ: هلْ من تائبٍ فأتوبَ عليهِ، هل مِنْ مستغفرٍ فأغفرَ لهُ، هل مِنْ سائلٍ فيُعطى سؤلُه؟ حتى يطلعَ الفجرُ».

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الإمام أحمد وغيره.

الصفة الثالثة: إخراجُ الزكاةِ وبذلُ الصدقةِ:

فالمحسنونَ في أموالِهم نصيبٌ مفروضٌ على أنفسِهم للسائلِ المحتاجِ وللمتعففِ الذي لا يسألُ لتعفّفِه، لأنهم موقنونَ بأنَّ كلَّ ما ينفقونَ في سبيلِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- سوفَ يجازونَ عليهِ.

مخلوقاتُ اللهِ تعالى دالةٌ على قدرته:

ثم يُلفتُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- نظرَ عبادِه داعياً إلى التأملِ والتفكرِ والاعتبارِ فيما حولَهم، وأَنَّ في الأرضِ دلائلَ واضحةً على قدرةِ اللهِ سبحانَه ووحدانيته للمصدقينَ بهِ وبعظمتِه، وليسَ ذلكَ فحسبُ بلْ لو تأمَّلَ الإنسانُ في نفسِه لرَأى منَ الآياتِ والعبرِ والحكمةِ والرحمةِ ما يدلُّ على أنَّ خلقَ الإنسانِ في أحسنِ تقويم دليلٌ على أنَّ اللهَ واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، بعدَ هذا التفكرِ والتأملِ أفلا تبصرُ أيُّها الإنسانُ قدرةَ اللهِ تعالى في خَلْقِه لتعرفَ قدرتَه على البعثِ؟

ثم يشيرُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- إلى أنَّ في السماءِ أسبابَ رزقِكم ومعاشِكم وهو المطرُ الذي بهِ حياةُ البلادِ والعبادِ، وأنَّ فيها ما توعدونَ بهِ من الثوابِ والعقابِ والقدرِ المكتوبِ في اللوحِ المحفوظِ في السماءِ السابعةِ، فهو ينزلُ من عندِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- كسائرِ الأقدارِ، وأقسمَ تعالى بنفسِه على أنَّ وعدَه وجزاءَه حقٌّ، وشبَّه ذلكَ بأظهرِ الأشياءِ لنا وهو النطقُ، فكما أنَّكم لا تشكونَ في نطقِكم فكذلكَ ينبغي أن لا يعترَيكم الشكُّ في البعثِ والجزاءِ.

من هداية الآيات:

١ - بيانُ صفاتِ المتقينَ التي استحقُّوا لأجلِها العطاءَ الكريمَ منَ اللهِ تعالى.
٢ - التأملُ والتفكرُ في الكونِ طريقُنا إلى الإيمانِ بعظمةِ اللهِ -عزَّ وجلَّ-.
٣ - الرزقُ من اللهِ -عزَّ وجلَّ- فلا يطلَبُ إلا منهُ تعالى.

الدرس الأربعون

كرم إبراهيم -عليه السلام-

الآيات (٢٤-٣٠) من سورة الذاريات

قالَ تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

معاني المفردات:

الكلمة	المعنى
فَرَاغَ	ذهب سريعاً في خفيةٍ
صَرَّةٍ	صرخة عظيمة
فَصَكَّتْ وَجْهَهَا	لطمت وجهها

المعنى الإجمالي:

ضيوف إبراهيم -عليه السلام-:

يذكرُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- قصةً عن أبي الأنبياءِ خليلِ الرحمنِ إبراهيمَ -عليه السلام- لِما في القصص من العظةِ والعبرةِ والتسليةِ للنبيّ -صلى الله عليه وسلم- ممّا يلاقيه من الكفارِ من أذىً قوليٍّ أو فعليٍّ، قالَ

تَعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1]، واختارَ اللهُ تعالى إبراهيمَ لكونِه أبا الأنبياءِ، وكونِ النبيّ -ﷺ- على سنتِه في بعضِ الأشياءِ.

وابتدأَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- الآياتِ بالاستفهامِ والغرضُ منهُ التشويقُ لقصةِ إبراهيمَ -عليه السلام- معَ ضيوفِه الملائكةِ، وقد قدموا عليهِ على هيئةِ شبانٍ حسانٍ عليهمْ مهابةٌ عظيمةٌ، وكانَ لهم نبأٌ غريبٌ عجيبٌ، وقد أرسلَهم اللهُ -عزَّ وجلَّ- لإهلاكِ قومِ لوطٍ -عليه السلام- لإجرامِهم وعصيانِهم للهِ -عزَّ وجلَّ- وأمرَهم اللهُ سبحانَه وتعالى بالمرورِ على إبراهيمَ -عليه السلام-، فحينَ دخلوا على إبراهيمَ -عليه السلام- سلّموا عليهِ فأجابَهم سلامٌ عليْكم أنتمْ منكرونَ لديَّ فلا أعرفُكم وأُحبُّ أن تعرفوني بأنفسِكم، ثمَّ ذهبَ سريعاً خفيةً ليحضّرَ لهم الطعامَ ويتضّحَ من خلالِ هذا الأمرِ اعتيادَه -عليه السلام- على إكرامِ الضيفِ، فأحضرَ لهم عجْلاً سميناً ثم قرَّبَ الطعامَ منهم ودعاهم ليأكلوا وهو متلطفٌ في العبارةِ ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فلما رآهم لا يأكلونَ أحسَّ في نفسِه خوفاً منهم، قالوا له لا تخفْ إنَّا رسلُ ربّكَ وأخبروه بما جاؤوا له وهو إهلاكُ قومِ لوطٍ، وبشروه بأَنَّ زوجتَه سارةٌ ستلدُ له ولداً، يُسمَّى إسحاقَ وسيكونُ نبياً.

المال والبنون زينة الحياة الدنيا

فلما سمعتِ المرأةُ البشارةَ أقبلتْ فرحةً مسرورةً مستبشرةً في صيحةٍ عظيمةٍ، وضربتْ وجهَها تعجباً من هذا الأمرِ وقالتْ كيفَ ألدُ وأنا امرأةٌ عجوزٌ كبيرةٌ في السنِّ وقد بلغتُ من السنِّ مالا تلدُ معهُ النساءُ ومعَ ذلكَ أنا عقيمٌ لا ألدُ، فردَّتْ عليها الملائكةُ بأنّ اللهَ -عزَّ وجلَّ- هو الذي قدَّر ذلكَ وأمضاهُ فلا عجبَ في قدرةِ اللهِ تعالى فسلِّموا لحكمِه واشكروه على نعمتِه واسألوا اللهَ من فضلِه فإنّه كريمٌ سبحانَه وتعالى.

(١) سورة يوسف: ١١١.

فوائدُ:

في قولهِ تعالى ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ السرعةُ إلى إكرامِ الضيفِ.

في قولهِ تعالى ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ إكرامُ الضيفِ بتقديمِ أفضلِ الطعامِ.

في قولهِ تعالى ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ إكرامُ الضيفِ بوضعِ الطعامِ بين يَدَيْه.

في قولهِ تعالى ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ إكرامُ الضيفِ بالتلطفِ والتأدبِ معهُ.

على الإنسانِ أن يدعوَ ربَّه ولا ييأسَ من رحمةِ الله -عزَّ وجلَّ- واللهُ تعالى لا يعجزُه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ سبحانَه بيدهِ الكونُ كلُّه، قالَ تَعالى:﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[1]، فيا أيُّها الإنسانُ الجأ إلى ربِّك واستبشرْ بفرجِ اللهِ تعالى قالَ تَعالى:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[2].

من هداية الآيات:

١ - مشروعيّةُ الضيافةِ وأنّها من سننِ إبراهيم -عليه السلام-.

٢ - تقريرُ النبوةِ المحمديةِ.

٣ - وجوبُ إكرامِ الضيفِ.

٤ - الخوفُ الفطريُّ عندَ وجودِ أسبابِه لا يُعدّ شركاً.

٥ - اللهُ -عزَّ وجلَّ- بيدهِ ملكوتُ السماواتِ والأرضِ.

٦ - الرزقُ والعطاءُ والذريةُ والنفعُ والضرُ بيدِ اللهِ تعالى.

(١) سورة يس: ٨٢.

(٢) سورة غافر: ٦٠.

المراجع

١ – بدائع التفسير لابن القيم الجوزية.

٢ – تفسير ابن كثير.

٣ – فتح الرحمن في تفسير القرآن للإمام القاضي مجير الدين الحنبلي.

٤ – الجامع لإحكام القرآن للقرطبي.

٥ – دقائق التفسير لابن تيمية.

٦ – تيسير الكريم الرحمن لعبدالرحمن السعدي.

٧ – صفوة التفاسير للصابوني.

٨ – الجامع الصحيح للبخاري.

٩ – تفسير الميسر للناشئة للدكتور زكي أبو سريع.

١٠ – تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي – جلال الدين السيوطي.

١١ – تفسير القرآن للناشئين للدكتور عبدالحليم عويس – علي عبدالمحسن جبر.

١٢ – أيسر التفاسير لأبوبكر الجزائري.

١٣ – المستفاد من قصص القرآن للدكتور عبدالكريم زيدان.

١٤ – أسماء الله الحسنى لماهر مقدم.

١٥ – التفسير الموضوعي.

١٦ – جامع التفسير من كتب الأحاديث (دار طيبة).

المواقع الإسلامية:

١ – صوت السلف.

٢ – الرائد.

٣ – أمة الإسلام.

٤ – طريق الإيمان.

٥ – الشبكة الإسلامية.

٦ – ابن العثيمين.

٧ – صيد الفوائد.